الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

اللسانيات االتمهيدية بين الواقع والطموح

علم اللغة مقدمة للقارئ العربي محمود السعران - أنموذجا –

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

- مجراب حليمة
- بوطلاعة نجلاء

إشراف الدكتور:

عيسى قيزة

أعضاء لجنة المناقشة

د. فاتح مرزوق	رئيسا
د. عيسى قيزة	مشرفا ومقررا
د. سليم عواريب	مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020

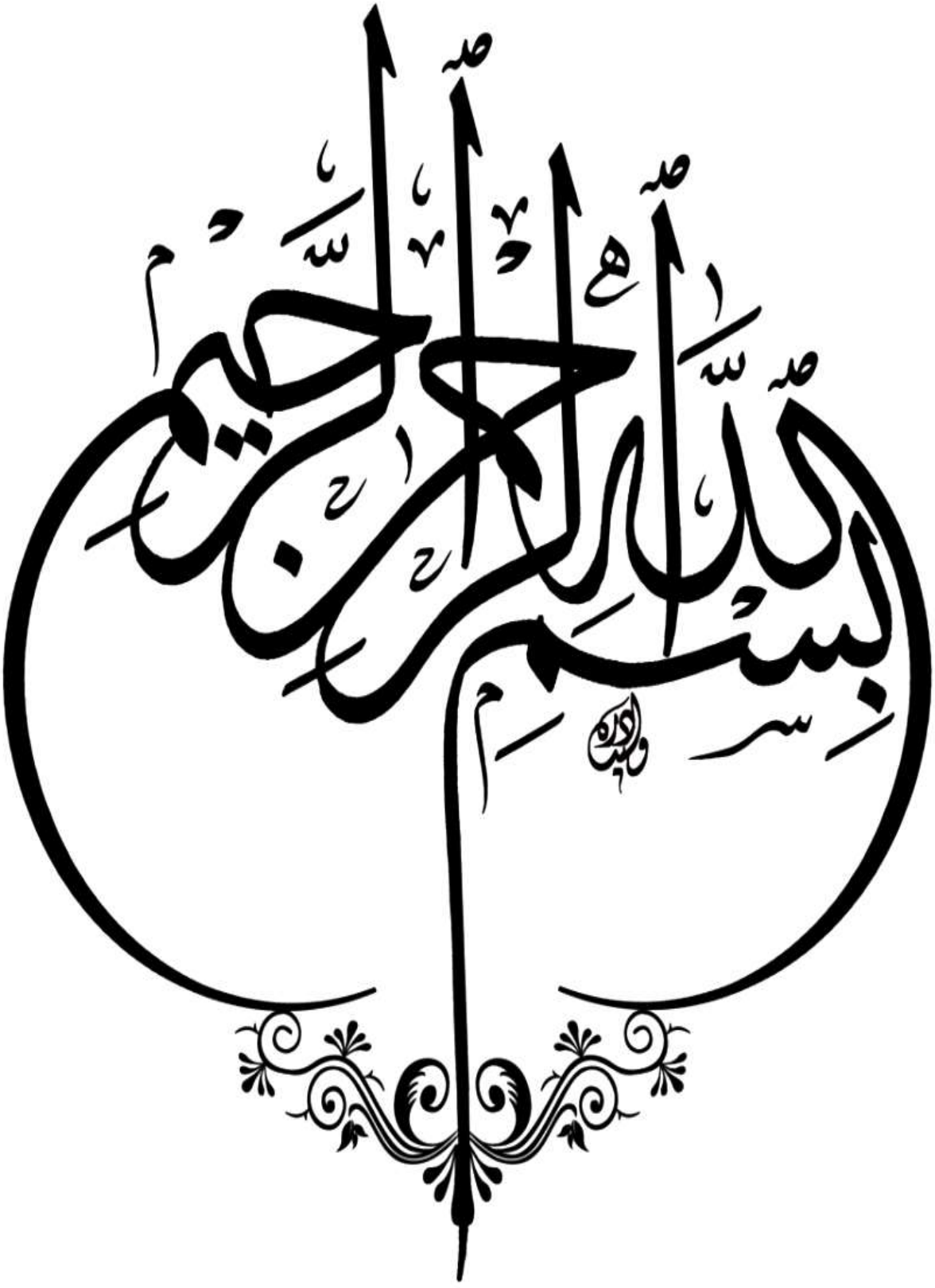
بسم الله الرحمن الرحيم

سقرة

مقدمة:

من المسلم به أن الدراسات اللسانية الحديثة باعتبارها حقلا معرفيا، قد نما وترعرع في حقل الثقافة الغربية، وذلك منذ ظهور كتاب (فرناند دي سويسر)

"**Cours de linguistique générale**" الذي قام بتحديد موضوع اللسانيات "دراسة اللغة لذاتها من أجل ذاتها"، دون التأثر بالعناصر الأخرى المحيطة بها مع تقديم وصف دقيق للظاهرة اللغوية، وسرعان ما تبنى الباحثون الغربيون المهتمين بالحقل اللغوي أفكار (دي سوسير) وقاموا بترجمتها وتطويرها، فأحدث ضجة فكرية كبيرة في العالم من شرقه إلى غربه.

أما عند العرب فقد دخل هذا العلم في وقت متأخر نسبيا؛ كان ذلك في ستينات القرن العشرين عن طريق ترجمة كتاب (سوسير) وغيره من المصنفات اللسانية التي ظهرت عده من قبل المدارس اللسانية الحديثة، بعدها تولدت محاولات من قبل بعض اللغويين العرب للتعريف بهذا العلم، كما حدده (سوسير) ونشر أفكاره ومبادئه في أوساط الدارسين.

بالإضافة إلى ترجمة الكتب المرافقة له خاصة أعلام المدارس كالوظيفية، الفرنسية، والسلوكية، والسياقية، إلى جانب مصنفات النحو التوليدي والتحويلي والتداولية، ولسانيات النص...وغيرها.

غير أن هذه المصنفات الغربية تبقى بحاجة إلى مؤلفات لسانية تمهيدية، باعتبار الأفكار التي تضمنتها غربية محضة تحتاج للتبسيط والتوضيح، لأن الأمر هنا يتعلق في الأساس بالقارئ المبتدئ الناشئ الذي لا يمتلك رصيدا كافيا عن النظريات اللسانية، وليس فقط بالباحث المتخصص الذي يمتلك رصيدا معرفيا كافيا.

فالكتابة اللسانية التمهيدية في العموم؛ هي نمط تأليفي في مجال اللسانيات تطمح إلى تبسيط المعرفة اللسانية بالنسبة للقارئ المبتدئ، وتقريبها له بصورة واضحة ويسيرة أملا في إرسائها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد حملت على عاتقها مهمة الترويج والتعريف بهذا الحقل المعرفي المستجد في حوض الثقافة العربية.

وقد كان تركيزنا في هذه الدراسة على معالجة قضية ملفتة للانتباه، تتمثل في: الكتابة اللسانية التمهيدية بين الغاية المنشودة والواقع المتجسد. فكان موضوع بحثنا كالآتي: اللسانيات التمهيدية بين الواقع أو الطموح في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي.

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع لسببين اثنين؛ أولهما علمي من حيث قيمة الموضوع في حقل الدراسات اللغوية، وانتمائه لمجال التأليف اللساني، وثانيهما سبب ذاتي يتمثل في الرغبة والميل لمثل هذا الموضوعات التي تفتح أمام الطالب الباحث المجال للتوسع في عالم اللسانيات وكذا المؤلفات التابعة له، خصوصا في الكتابات العربية اللسانية.

وبناء على أهمية هذا الموضوع، فقد تبادر إلى أذهاننا أن نطرح التساؤل الآتي: **هل فعلا حققت اللسانيات التمهيدية الغاية التي طمحت لها على أرض الواقع؟ أم أنها بقيت مجرد طموح لا غير؟ وإلى أي مدى ساهم الباحث المصري (محمود السعران) من خلال كتابه "في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" في توضيح هذا العلم، وفي تحقيقه للأهداف العلمية من وراء تأليفه لهذا الكتاب؟.**

وقد تتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف هذه الظاهرة في واحدة من الكتابات اللسانية التمهيدية في العالم العربي والتي استقبلت الدرس اللساني الغربي الحديث، متمثلة في تجربة (محمود السعران) من خلال كتابه المذكور آنفا مستهدفا في ذلك القارئ العربي المبتدئ.

وعلى هذا الأساس كان لابد من وضع خطة ترسم لنا هذا البحث وهي كالآتي:

الفصل الأول تحت عنوان: نظرة في اللسانيات قسمناه إلى مبحثين؛ في المبحث الأول تناولنا مصطلح اللسانيات والمفاهيم الأساسية التي يعتمد عليها، ثم تطور اللسانيات من خلال المدارس اللسانية؛ أما المبحث الثاني فقد كان بعنوان: اللسانيات عند العرب؛ حبكنا فيه: انفتاح الثقافة العربية على الدرس اللساني، ثم تطرقنا إلى مفهوم اللسانيات التمهيدية وأبرز المؤلفات التابعة لها.

أما الفصل الثاني فكان موسوما ب: قراءة في كتاب "في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لـــ(محمود السعران) تناولنا فيه دراسة تحليلية للكتاب بداية بالعنوان ووظائفه، مرورا إلى المقدمة ووظائفها، بعدها تطرقنا إلى المصطلح اللساني وإشكالاته في الكتابات اللسانية التمهيدية. وختمناه بخاتمة ذكرنا فيها، أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا.

أما عن المراجع التي رافقتنا واعتمدنا عليها في بحثنا، فقد كانت جملة من المراجع، كانت خير دليل على هذه الدراسة، ومن أهمها:" اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية لقضايا التلقي وإشكالاته (حافظ اسماعيلي علوي)، اللسانيات العربية أسئلة المنهج (مصطفى غلفان)، فوضى المصطلح اللساني (وليد محمد السراقبي)، مشكلات تعدد المصطلحات اللسانية مبانيها لإيمان بوشوشة ...وغيرها.

ولا شك أن قلة الكتابات في هذا الموضوع "اللسانيات التمهيديةّ"، كانت من أبرز الصعوبات التي واجهتنا من خلال انجازنا لهذا البحث. ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذنا المشرف علينا ومرشدنا الدكتور "**عيسى قيزةّ**" على الإرشادات والتوجيهات التي قدمها لنا، ونشكر كل من ساعدنا في انجاز بحثنا. ولا ننسى أن نشكر كل طلبة الدفعة في قسم اللغة والأدب العربي، سائلين الله لهم ولنا التوفيق والسّداد.

الفصل الأول

نظرة فى اللسانيات

المبحث الأول : اللسانيات عند الغرب

المطلب الأول : مصطلح اللسانيات

تمهيد :

من المعروف في البحث اللغويِّ أنَّ الهنود والإغريق كانوا السباقين إلى الاهتمام بهذا العلم (اللسانيات)، فقد كانت عبارة عن جهود فردية وخواطر وملاحظات يقوم بها المهتمون باللغة عبر العصور، ومع مطلع القرن العشرين أصبحت اللسانيات علما قائما بذاته وكان هذا تزامنا مع صدور كتاب محاضرات في ألسنة عامة ل "**فرديناند دي سوسير**"، فأصبحت نموذجا ذا أهمية وقيمة نظرية ومنهجية متميزة في حقول المعرفة الإنسانية.

مصطلح اللسانيات

ظهر مصطلح اللسانيات أول مرة في ألمانيا(Linguistik)، ثم استعمل في فرنسا (Linguistique) ابتداء من سنة 1826، ثم في إنجلترا (Linguistics) ابتداء من سنة 1855.[1]

تعرف (اللسانيات) بأنها علم يدرس "اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيدا عن النزعات التعليمية والأحكام المعيارية"، فهي دراسة تأخذ من العلم سلما لها وتعرض للغات البشرية كافة من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم، وتدرس اللغات بعيدا عن مؤثرات الزمن والتاريخ والعرق، والمقصد من هذه الدراسة بيان جوهر كل لغة من هذه اللغات واستراتيجية عمل كل منها والنظر إليها على أنها منظومة كلية تتألف من مستويات مترتبة يستند الأعلى منها إلى الأدنى.[2]

1- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1999، ص 23 .

2- وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية ومدارسها، دار مخطوطات العتبة العباسية، بيروت لبنان، ط 1، 2019، ص 16 .

"هي العلم الذي يبحث في اللغة ويتخذها موضوعا له، فيدرسها من النواحي الوصفية التاريخية والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة أو بين مجموعة من هذه اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة واللغة التي يبحث فيها هذا العلم – هي اللغة – في ذاتها ومن أجل ذاتها، هي اللغة التي تظهر وتتحقق في شكل لغات أخرى كثيرة أو لهجات متعددة وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني".[1]

اللسانيات هي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم، فهي دراسة خاصة للسان البشري تتميز بالعلمية والموضوعية.

1. العلمية:

نسبة إلى العلم وهو بوجه عام المعرفة وإدراك الأشياء والحقائق على ما هي عليه وبوجه خاص دراسة ذات الموضوع محدد، وطريقة ثابتة تنتهي إلى مجموعة من القوانين، والعلم ضربان :

– نظري: يحاول تفسير الظواهر وبيان القوانين التي تحكمها.

– تطبيقي: يرمي إلى تطبيق القوانين النظرية على الحالات الجزئية.[2]

وهي كذلك إتباع الطرق والوسائل العلمية أثناء الدراسة والبحث، كالملاحظة والاستقراء والوصف والتجربة.[3]

ويعني أيضا بالدراسة العلمية ذلك البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي المعتمد على المقاييس التالية:

– ملاحظة الظاهرة والتجريب والاستقراء المستمر.

1– رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط 3، 1997، ص 07.

2– أحمد حساني، المرجع السابق، ص 24.

3– بن زروق نصر الدين، محاضرات في اللسانيات العامة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار الجزائر، ط 1، 2011، ص 06.

- الاستدلال العقلي والعمليات الافتراضية والاستنتاجية.

- استعمال النتائج والعلائق الرياضية للأنساق اللسانية والموضوعية المطلقة.[1]

2. الموضوعية :

نسبة إلى الموضوعي، وهو مشتق من الموضوع، أي كل ما يوجد في الأعيان والعالم الخارجي في مقابل العالم الداخلي أو الذات.

- الموضوعي : هو كل ما تتساوى حالاته عند جميع الدارسين على الرغم من اختلاف الزوايا التي يتناولون من خلالها الموضوع.

ومن هنا وجب أن تكون الحقائق العلمية مستقلة عن قائليها، بعيدة عن التأثر بأهوائهم وميولهم، فتتحقق في البحث العلمي الموضوعية والنزاهة.

- الموضوعية : حينئذ هي : طريقة العقل الذي يتعامل مع الأشياء والحقائق على ماهي عليه فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو تحيز ذاتي.[2]

وقد جاء في معجم اللسانيات ل "**جون دي بوا**" أن اللسانيات هي : العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية، وكلمة علم الواردة في هذا التعريف لها ضرورة قصوى لتمييز هذه الدراسة من غيرها، لأن أول ما يطلب في الدراسة العلمية هو إتباع طريقة منهجية والانطلاق من أسس موضوعية يمكن التحقق من إثباتها.[3]

وبالتالي يمكن القول أن اللسانيات هي دراسة اللغة من ذاتها ولأجل ذاتها إذ تعتمد على كل ماهو علمي موضوعي ثابت بعيد عن الأحكام الذاتية، وتعنى أيضا بالدراسة العلمية للسان البشري من جميع جوانبه وعلاقته بالنظم الاجتماعية.

1- أحمد حساني، المرجع السابق، ص 24.

2- المرجع نفسه، ص 25.

3- بن زروق نصر الدين، المرجع السابق، ص 06.

وبتعبير آخر يمكن القول بأنها التجرد عن الأهواء والميولات الشخصية أثناء البحث والدراسة.

– وكما أن لكل علم موضوع، فكذلك اللسانيات موضوعها هو " كل النشاط اللغوي للإنسان في الماضي والحاضر، ويستوي في هذه الإنسان البدائي والمتحضر، اللغات الميتة والحية والقديمة والحديثة دون اعتبار لصحة أو لحن، وجودة أو رداءة".[1]

قال دي سوسير في تحديد موضوعها أيضا: " **إن موضوع علم اللغة الوحيد والحقيقي هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته، ويبحث فيها لذاتها**".[2]

وعليه فإن موضع اللسانيات هو جميع مظاهر الكلام عند الإنسان في الماضي والحاضر وموضوعها اللغة بحد ذاتها فقط.

وتتميز اللسانيات هي الأخرى عن بقية العلوم بجملة من الخصائص حصرها جون ليونز فيما يأتي :

1. استقلاليتها عن بقية العلوم وهذه الصفة تؤكد علميتها في حين أن النمو التقليدي كان يتصل بالفلسفة والمنطق.

2. تهتم اللسانيات باللغة المنطوقة قبل اللغة المكتوبة خلافا لعلوم اللغة التقليدية التي كانت تفعل العكس.

3. تعني اللسانيات باللهجات، ولا تفضل الفصحى عليها على غرار ما كان سائدا في علوم اللغة التقليدية.

4. تهدف اللسانيات إلى إنشاء نظرية لسانية تتصف بالشمولية، إذ يمكن على أساسها دراسة مختلف اللغات ووصفها.

5. لا تعير اللسانيات أيّ اهتمام إلى الفروق بين اللغات البدائية، واللغات المتحضرة لأنها جميعا جديرة بالدراسة والبحث.

1– رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط 1، 1985، ص07.

2 – بن زروق نصر الدين، المرجع السابق، ص 08.

6. تدرس اللسانيات اللغة ككل متكامل، وذلك ضمن تسلسل متدرج من المستوى الصوتي إلى المستوى الدلالي مرورا بالمستوى الصرفي والنحوي.[1]

فاللسانيات علم يدرس اللّغات اللّهجات دراسة موضوعية غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها الصّوتية والصّرفية والنّحوية والدّلالية والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر ببعضها البعض، وتربطها بالظواهر النفسية وبالمجتمع والبيئة الجغرافية.[2]

المطلب الثاني: المفاهيم الأساسية التي تعتمد عليها اللسانيات.

اللسان ظاهرة اجتماعية هامة في حياة الإنسان والشعوب والمجتمعات ووظيفته الأساسية والمركزية الإخبار والتبليغ، أي نقل الأخبار والمعلومات في إطار التخاطب والتواصل أي ربط الاتصال بين المتخاطبين وبالتالي تتشكل بينهما دورة يسميها أهل الاختصاص **"دورة التخاطب".**[3]

ولا تتم هذه العملية إلا إذا توافرت جميع عناصر الخطاب وهي كالآتي:

1. المرسل: وهو المتكلم أو صاحب الرسالة، أو هو بعبارة أخرى الشخص الذي يريد تبليغ خبر ما أو فكرة معينة إلى المستمع بغرض إفادته.

2. مرسل إليه: وهو السامع أو المتلقي، وهو الذي يوجه إليه الخطاب سواء أكان الخطاب شفهيا أم كتابيا.

3. جهاز الإرسال: وهو الوسيلة المستعملة أو المعتمد عليها في إرسال الخطاب إلى المرسل إليه وتختلف هذه الوسيلة باختلاف مادة الخطاب فإذا كان الخطاب شفهيا فإن جهاز الإرسال هو الآلة المصوتة (الجهاز النطقي لدى الإنسان)، أما إذا كان الخطاب كتابيا فإن جهاز الإرسال هو القلم.

---

1 – بن زروق نصر الدين، المرجع السابق، ص 07.

2 – وليد محمد السراقبي، المرجع السابق، ص 16.

3– خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط 2، 2006، ص 27.

4. جهاز الالتقاط: هو الأداة التي يتم بواسطتها التقاط الخبر أو الفكرة أو المعلومة، ويختلف أيضا باختلاف مادة الخطاب.

5. القناة: وهي الأداة التي ينتقل عبرها الكلام أو الخطاب من المرسل إلى المرسل إليه، وتختلف هي أيضا باختلاف طبيعة الخطاب.[1]

6. الوضع: هو مجموع الكلمات والتراكيب والقواعد المتفق عليها بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، أو هو بعبارة أخرى اللغة المشتركة ولا تتم عملية التواصل إلا باحترام الوضع فعند صياغة الكلام يقوم المرسل أو المتكلم بعملية خاصة وتسمى عند علماء الاتصال بالإستيضاع، وخلالها يقوم المتكلم بتركيب الكلام في ذهنه**(الأفكار والمعاني التي يريد تبليغها)**، وفق الوضع المتعارف عليه في مجتمعه، وعندما يصل الكلام إلى المرسل إليه فإنه يقوم بعملية مشابهة للأولى إلا أنها عكسية تسمى **بالتوضيع،** ويتم خلالها تحويل الألفاظ والأصوات المرسلة إليه إلى معاني، نستطيع فهمها ولا تتم هذه العملية إلا بالرجوع دائما إلى الوضع الذي استعمله المتكلم أو المرسل, والخلاصة أن كل لغات العالم هي في واقع الأمر إلا نظام من الأدلة والرموز المتواضع عليها فالكتابة مثلا هي عملية صياغة الأفكار التي تدور في الذهن برموز عربية أو فرنسية أو إنجليزية...، وفهم المخاطب لها هو عملية كشف لتلك الأمور.

7. الخطاب أو الرسالة: وهو محتوى الكلام أو مضمون الرسالة التي يريد المرسل تبليغها إلى المرسل إليه، فعندما تتوفر كل العناصر السّالفة الذّكر تكتمل **دورة التخاطب** وتتم عملية التبليغ على أحسن وجه.[2]

غير أن هناك عراقيل وحواجز تطرأ على الدورة كلها، أو على عنصر واحد منها أو أكثر، فتحدث خللا في عملية التواصل وتسمى هذه العراقيل عند علماء الاتصال بالتشويش، ولا يوجد في الواقع خطاب بدون تشويش إلا إذا تم هذا الخطاب في ظروف مثالية.

1- بن زروق نصر الدين، المرجع السابق، ص 21.

2- المرجع نفسه، ص 22.

ولهذا التشويش درجات متفاوتة من حيث الضعف والقوة إلى أن يصل إلى درجة يستحيل معها التواصل، ويطرأ التشويش على عدة نقاط كأن تكون القناة على سبيل المثال غير صالحة لتوصيل الخطاب، ويمكن أن يصيب التشويش المرسل وذلك كأن يتعرض جهاز النطق لديه إلى خلل أو عاهة من العاهات، وقد يصيب أيضا المرسل إليه أو بعبارة أدق جهاز الالتقاط لديه، فتعترضه العوارض نفسها التي تعترض المرسل وجهاز الإرسال تلك إذن هي العناصر الأساسية الضرورية لدورة التخاطب مثلما يوضحه الرسم الموالي.

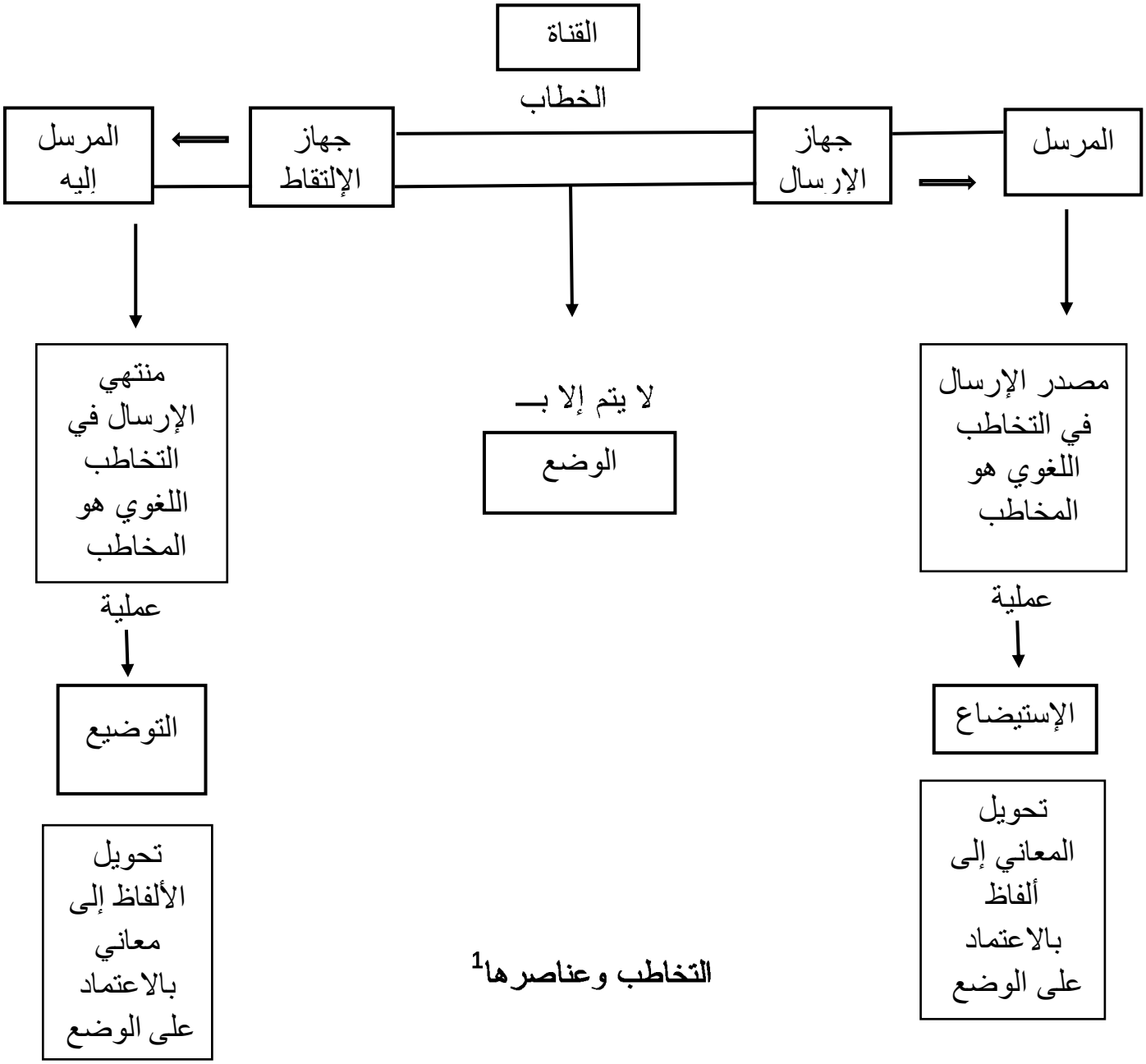

التخاطب وعناصرها[1]

1- خولة طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص28.

ذلك هو إذن الإطار الذي تتم فيه الوظيفة الرئيسية للسان أي التبليغ، ولكن للسان نفسه وظائف واستعمالات أخرى اختلف في تحديدها العلماء فنجد مثلا اللغوي المشهور "رومان جاكبسون" يصنفها انطلاقا من الدائرة التخاطبية حيث يربط كل عنصر من عناصرها بوظيفة معينة تخصه وهي عنده ستّ وظائف،[1] نذكرها على التوالي:

الوظيفة التبليغية، الوظيفة التوصيلية، الوظيفة الخطابية، الوظيفة التعبيرية، الوظيفة التحقيقية، الوظيفة الشعرية (الجمالية).

المطلب الثالث: تطور اللسانيات.

تمهيد:

إنّ القيمة المعرفية والمنهجية للأفكار التّأسيسية التي جاء بها "دي سوسير"، تلك الأفكار التي أحدثت انقلابا جوهريا في المنهج العلمي في التعامل مع الظاهرة اللغوية الأمر الذي أدى إلىاكتمال النظرية اللسانية المعاصرة بمفاهيمها ومناهجها وإجراءاتها التطبيقية، فبعد انتشار الأفكار والمبادئ التي تضمّنها كتاب " دي سوسير" (دروس في اللسانيات العامة) (cours linguistique générale)، تشكّلت مجموعة من الحلقات اللسانية في مناطق مختلفة من العالم، غير أن هذه الحلقات الأوّلية بدأت بالتّدرج وأخذ طابعها المميز مما جعلها ترقى إلى مستوى المدارس، ومن المدارس المعروفة في الثقافة اللسانية المعاصرة ما يأتي :

أولا: مدرسة جنيف أو المدرسة السويسرية (البنيوية).

لقد اقترن اسم هذه المدرسة باسم المدينة التي أنجبت "دي سوسير" والتي احتضنت أفكاره، ومنها بدأت رحلته العلمية إلى ألمانيا ثم رحلته التّعليمية إلى فرنسا، ثم العودة إلى جنيف ،لاستثمار هذه الحصيلة العلمية وبلورتها واكتمالها ثم نشرها في أواسط الدّارسين والباحثين في الدرس اللساني، إذ أنها المحطة التّأسيسية التي قامت على المبادئ الأوّلية التي جاء بها " دي سوسير" في الحقل اللّساني أوّلا، ثم في الحقول المعرفية الأخرى ومن

1- خولة طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص30.

الأعلام المؤسّسين لهذه المدرسة هم الذين تتلمذوا على يد "دي سوسير" بطريقة مباشرة، وتشبعوا بأفكاره واقتنعوا بفاعليتها منهجيا ومعرفيا فحرصوا حرصا شديدا على نشرها وتعليمها لتتجاوز الحقل اللساني المحض وتنتشر في حقول معرفية مختلفة منها : حقل الدراسة الأنتروبولوجيا والأدبية.[1]

من أبرز أعلام هذه المدرسة "شارل بالي" الذي جمع محاضرات أساتذة ونشرها بمشاركة "سيشهاي" وكانت له اهتمامات خاصة بقضايا اللغة الصّوتية، التركيبية، الدلالية،[2] فشارل بالي باحث لساني ولد بجنيف سنة (1865-1947) كان مهتما باللغة السنسكريتية واليونانية، ولما استوعب المفاهيم التي جاء بها أستاذه، وتمثلها انصرف إلى تأسيس قواعد الأسلوبية من مؤلفاته:

- مصف الأسلوبية الفرنسية.
- اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية.[3]

جاءت مدرسة "دي سوسير" بنظرية لغوية تعد ثورة في الدّرس اللّغوي المعاصر في العالم أجمع، لا في أوروبا وحدها، إذ غيرت هذه النظرية طبيعة التفكير اللغوي ووضعت حدا فاصلا بين عهدين من الدراسة اللّغوية، عهد الدراسة التقليدية المستمدة من الإغريق حتى بداية حتى بداية القرن العشرين، وعهد الدراسة الحديثة التي بدأت مع ظهور مدرسة "دي سوسير"، كما بدأ كتابة (محاضرات في علم اللغة العام) بتعريف اللغة ذاتها، مميزا بين ثلاث مستويات من النشاط اللغوي (اللغة – اللسان – الكلام) فاللغة عنده نظام من الرموز المختلفة التي تشير إلى أفكار مختلفة، أما اللّسان عنده يعني نظام اللغة المختلفة التي تنتج من خلالها عملية المحادثة، أما الكلام فيعرف بأنه التّحقيق الفردي لهذا النسق من الحالات الفعلية من اللغة، إذن اللغة هي العنصر الاجتماعي للكلام والكلام هو المظهر الفردي للغة ولا علاقة للغة بأخطاء الكلام فهي الهياكل التي تخضع لها عمليات التّنفيذ الكلامية، والنظام اللغوي يتألف من عناصر داخلية وعلاقات خارجية ولكي يوضح

1- أحمد حساني، المرجع السابق، ص 45.

2- المرجع نفسه، ص46.

3- المرجع نفسه ، ص46.

"ديسوسير" العلاقات الداخلية والعلاقات الخارجية يضرب لنا مثالا بلعبة الشطرنج، فهذه اللعبة انتقلت من الشرق إلى الغرب وهو أمر خارجي لا يمس نظام اللعبة الدّاخلي ولا قواعدها فإذا استبدلنا مثلا القطع الخشبية بقطع من العاج فإن هذا التغيير لا يمس النظام الدّاخلي للعبة، ولكننا إذا أنقصنا أو زدنا عدد القطع أو لعبت هذه اللّعبة بطريقة مختلفة عن القوانين التي وضعت لها، فإن هذا التغيير يخل بنظام اللعبة وقواعدها.[1]

وعليه فقد توصل "دي سوسير" إلى نظرة جديدة لدراسة النظام اللغوي وتفسيره وتحليله معتمدا على كل ما هو علمي موضوعي، مميزا في ذلك العلاقة بين اللغة والكلام ودراسة التركيب العام للنظام اللغوي، بالإضافة إلى التخلي عن المناهج التاريخية والاعتماد على الدراسة الوصفية للغة.

ثانيا : المدرسة الروسية (مدرسة موسكو الشّكلانية)

تكونت عام 1915 وذلك حين وصل تلميذ "دي سوسير" "كارسفسكي" الذي قام بنشر أفكار أستاذه في الأواسط الشبّانية التي كانت مهيّأة أو مستعدة لتقبل المفاهيم الجديدة والعمل بها لتطوير الدراسة اللغوية التي كانت آنذاك خاضعة للمناهج التقليدية ومن هؤلاء الشبان : "جاكبسون وتروبسكوي".[2]

حدث التغيير على مستوى:

- الأهداف (الدراسة اللغوية).
- المنهج.
- المصطلح.
- الإجراءات التطبيقية.

نشأت على هامش هذه المدرسة اللسانية جمعية كانت تسمى آنذاك بجمعية دراسة اللغة الشعرية، ظهرت في سنة 1916 ثم تحولت إلى مدرسة نقدية قائمة بذاتها ابتداء من سنة

1- صبري إبراهيم السيد، مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، مكتبة الأدب، القاهرة، ط1، 2011، ص 187.

2- السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط 1، 2008، ص 68.

1917، أصبحت تعرف باسم "الشّكلانية" (Formalisme)، كانت قائمة على مبدأ : إن الأثر الأدبي يتميز ببروز شكله، فهي تعيد الاعتبار إلى الجانب الشّكلي الذي غيب في النقد الروسي التقليدي الذي كان يعول في التحليل للخطاب على العوامل الخارجية ويغفل الجانب الشّعري الذي يميز الأثر الأدبي عما سواه.[1]

ويعود الفضل في نشر مبادئ الشكلانيين إلى "تودوروف" الذي ترجم أعمال الشّكلانيين الرّوس إلى اللّغة الفرنسية، إذ كانوا يصرحون في عدة مواقف أن تسمية مدرستهم أو اتجاههم النقدي بالشّكلانية هو إجحاف في حقهم لأن هذه التسمية تصرف الأنظار عن العمق المنهجي والمعرفي وهذه المدرسة التي هي في الواقع رد فعل على النقد الروسي الكلاسيكي الذي يعول أساسا على القراءة الخارجية للخطاب الأدبي، وكانت هذه المدرسة نتيجة حتمية للتحول العميق الذي بدأ أولا في الحقل اللساني، ثم تجاوزه إلى حقول معرفية أخرى (الحقل الأنثروبولوجي، النفسي، الاجتماعي)، ومما لا ريب فيه أن أقرب حقل للسانيات هو الحقل الأدبي، لذلك فإن أصفى صورة لأثر النظرية اللسانية تتبدى في الخطاب النقدي المنجز بدءا من الإرهاصات الأولى للمدرسة الشّكلانية.[2]

بدأ المنهج النقدي العالمي ينتقل من القراءة الخارجية (السّياقية) إلى لقراءة الداخلية (النّسقية)، ويعد هذا الانتقال تحولا جذريا في فهم الخطاب الأدبي وضبط خصائصه.[3]

النقد السياقي:

يعوّل في تعامله مع الخطاب الأدبي على العوامل الخارجية التي تكون الحوالية السياقية والاجتماعية والثقافية بشكل عام، وتغيب من اهتماماتها الخاصية الأدبية أو الشعرية لبنية الخطاب الأدبي.

1- السعيد شنوقة، المرجع السابق، ص 69.

2- أحمد حساني، المرجع السابق، ص49.

3- المرجع نفسه، ص 49.

النقد النسقي:

هو النقد الذي يضطلع بإيجاد التفسير أو التأويل الكافي للخطاب الأدبي في ذاته ومن أجل ذاته، فهو من هنا يعتمد أساس على مبدأ العزل والتركيز على العلائق القائمة بين العناصر الأساسية التي تكوّن أدبية النص.

وبهذه النظرة المميزة للخطاب الأدبي استطاع الشّكلانيون أن يتجاوزوا التصور القديم للنص الأدبي القائم على التمييز بين الشكل والمضمون، فهذه الثنائية عقيمة في نظرهم، لأنها قائمة أساسا على فهم خاطئ للأدب، فالأثر الأدبي في نظرهم يتميز ببروز شكله، ونعني بالشكل هنا العناصر اللغوية والفنية والجمالية التي تجعل منه نصا أدبيا، فهو إذن يختلف عن النصوص الأخرى في كونه بناءا لغويا متميزا بأدبيته أو بشعريته.[1]

لقد حدد الشّكلانيون تحديدا صارما المجال الإجرائي للنقد الأدبي وضبطوه ضبطا دقيقا، وهو المجال الذي لا يمكن للنّاقد أو المتلقي المتفاعل مع الخطاب الأدبي أن يتعدّاه أبدا وإلا يكون قد تجاوز شرعية الداخل، وإخترق مجال الخارج الذي هو مجموعة فضاء مفتوح يكون مركز إستقطاب لمجموعة معارف وعلوم، وهذا التعدد قد يلغي تماما وظيفة الناقد الأدبي الذي يجب أن ينصرف جهده مباشرة ،و بصفة مركزة ومؤسسة إلى الأثر الأدبي في حدوده المغلقة، ولا يلتفت إلى العناصر الخارجية إلا عرضا.

وقد عاب الشّكلانيون النقد الكلاسيكي الخارجي إذ اعتبروه "نقدا مدنيا يعوّل في مقاربته على المؤثرات الخارجية، ويغفل البناء النسقي الداخلي للنص الأدبي الذي يعرف بملامحه وبصماته، وهو محدّد سلفا بالعناصر الشعرية التي يتميز بها".[2]

إن التحوّل العميق في المنوال الإجرائي النقدي للخطاب الأدبي بدأ مرحلته الجنينية مع المدرسة الشّكلانية التي أعلنت القطيعة المنهجية نظريا، وتطبيقيا مع المفاهيم التقليدية مع الخطاب الأدبي فهيأت أرضية علمية أضحت تقدم الدّعم الكافي للقراءة الجديدة للنصوص للنصوص الأدبية على اختلاف أجناسها، فكان هذا التحول استجابة طبيعية لمناخ فكري عام بفضل النتائج العلمية التي تحققت في ميدان البحث اللساني فاكتمل المنهج وتوضح

1- أحمد حساني، المرجع السابق، ص50.

2- المرجع نفسه، ص51.

السّبيل الإجرائي في تصريح جاكبسون المشهور "ليس هدف علم الأدب هو الأدب وإنما أدبيته"، يعني العناصر المحددة التي تجعل منه عملا أدبيا.[1]

وعليه فإنّ المدرسة الروسية عملت على تطوير مناهج الدراسة اللغوية والأدبية للنصوص فكانت نظرتها عميقة انتقلت بين ما هو سياقي يعتمد على العوامل الخارجية ومختلف السياقات المحيطة بالنص (دينية، اجتماعية، تاريخية، نفسية ...)،وبين ما هو نسقي ينطلق من البنية الداخلية للنص باعتباره بنية مغلقة يتضمن قيمته في ذاته.

ثالثا: مدرسة براغ (الوظيفية).

تعد هذه المدرسة امتدادا للمدرسة الرّوسية، لأن جيل الباحثين في هذه المدرسة من النازحين الروس : كارسفسكي، تروبسكوي، جاكبسون، بالإضافة إلى اللغويين التشيكيين: ماثسيوس، فاشيك.

لقد بدأ التّأسيس الأول لها سنة 1920 وهي السّنة التي وصل فيها النازحون الروس إلى براغ وأخذ بعد ذلك طابعها المميز بدءا من عام 1928، أي تاريخ انعقاد المؤتمر الدولي الأول للسانيّات في " لاهاي" هذا المؤتمر الذي ظهرت فيه بوضوح سمة الدراسة الصوتية الوظيفية : الفونولوجية المعاصرة، وقد تتابعت المؤتمرات الدولية بعد ذلك منها : مؤتمر جنيف 1933، مؤتمر كوبنهاجن سنة 1936، مؤتمر باريس 1948 ... وتعد "محاضرات في اللسانيات العامة" للمؤلف دي سوسير أثرا بالغا في ظهور هذه المدرسة اللسانية التي انكبّ أعضاؤها على عقد ندوات متتالية توّجوها ببحوث لسانية وظيفية التي تعتبر فرعا من فروع البنوية.[2]

ومن المبادئ الأساسية التي تعتمد عليها مدرسة براغ، النزعة الوظيفية التي " تحدّد قيمة اللّغة الإنسانية انطلاقا من وظيفتها بوصفها وسيلة اتصال يتخذها أفراد المجتمع اللغوي لتحديد عملية التواصل، فلم تعد اللّغة شكلا فحسب بل أمست وظيفة، فقيمة العنصر اللساني داخل النسق اللساني تكمن في وظيفته التي يؤديها، وفي موقعه الذي يحتله في

1- أحمد حساني، المرجع السابق، 52.

2- السعيد شنوقة، المرجع السابق، ص 70.

سلسلة العناصر المكونة للأداء الفعلي للكلام"،[1] ومصطلح "الوظيفة" هو المرتكز الأساسي الذي تجمعت حوله أفكار جماعة براغ.

رسخ هذا المبدأ أكثر أندري مارتيني في كتابه (Eléments de l'linguistique) الذي كان يؤكد باستمرار أن الوظيفة الجوهرية للّغة هي التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي، هذه الوظيفة الإنسانية تؤديها اللغة بوصفها مؤسسة إنسانية على الرغم من اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر، فالوظيفة الجوهرية للغة تتمحور حول الإبلاغ والتفاهم والاتصال بين أفراد المجتمع اللغوي.[2]

وحرص أتباع مدرسة براغ على إعادة الاعتبار للبعد الوظيفي للغة الإنسانية من حيث هي وسيلة يستخدمها أفراد المجتمع اللغوي لتحقيق عملية التواصل، ومن ثمة فإن قيمة العنصر اللغوي داخل النسق اللساني تكمن في وظيفته التي يؤديها، وليس في شكله فقط، هذه الوظيفة هي التي تعزّز جهوده ضمن العناصر الأخرى التي تكوّن سياقه المألوف في النسق اللساني.

وبناءا على هذا التصور لعمل العناصر اللغوية انطلاقا من وظيفتها وليس من شكلها، انصرفت جهود هذه المدرسة إلى ترسيخ مفهوم البنية (structure)، انطلاقا من مفهوم النسق (système) عند دي سوسير، على الرغم من أنه لم يستخدم مصطلح بنية، فإنه أوحى به في تمثّله تجانس النسق اللساني الذي يتكوّن من عناصر ترتبط فيما بينها بحكم قوانين معينة، وأن أيّ تغيير في قانون من هذه القوانين سينعكس على الكل (النسق أو البنية) ومن هنا اكتسبت مدرسة براغ صفة البنيوية نظرا لتمسّكها بمفهوم البنية من وجهة نظر وظيفية.[3]

اتجه الباحثون في منهج دراستهم إلى جعلها تبحث في الصّوتيات الوظيفية الآنية والصّوتيات الوظيفية التاريخية واعتماد التّحليل الوظيفي وتصنيف ما وجدوه في تضاد فونولوجي، وهو الذي جعل نادي براغ اللّساني يسمى (المدرسة الوظيفية) أو (المدرسة

1- أحمد حساني، المرجع السابق، ص57.

2- المرجع نفسه، ص57.

3- المرجع نفسه، ص 58.

الفونيمية) وتعرضوا إلى الأسلوبية الوظيفية وجمالية اللّغة وما تؤديه في الأدب والفنون والمجتمع.[1]

ويمكن حصر القضايا اللسانية فيها كالآتي:

القضية الأولى:

تعدّ اللّغة في نظر هذه المدرسة ذات طابع غائي، وظيفي، وهي نتاج النشاط اللساني ووسيلة تعبير لتحقيق غاية مستعمل اللّغة فيما يريد إيصاله والتعبير عنه، وهو طرح لغوي عبر عنه "ابن جنّي" في تعريفه المشهور للّغة : "أما حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم".

القضية الثانية:

وهي تتعلق بمهام المنهج الآني(الوصفي) والنتائج المترتبة عنه وبعلاقته بالمنهج الزّماني(التاريخي)، لذا ترى مدرسة براغ أن الوسيلة الناجحة التي تمكّننا من الإحاطة بجوهر اللّغة وخصائصها تكمن في التّحليل الآني الوصفي للظواهر اللغوية الحالية، لأن التّحليل الوصفي وحده الذي يمثل مادة كاملة تناسب الواقع اللغوي ولا تعارض الدراسة اللغوية الآنية مع الدراسة اللغوية التاريخية؛ لأن انحصار التعاقب يؤول إلى التحدد، والآنية في المبدأ.

وقد خالف جماعة براغ دي سوسيير في النظر إلى العلاقة بين الدراستين اللغويتين الآنية (الوصفية) والزمانية (التاريخية) لأن الحدود بينهما أقرب إلى التجريد منها إلى الواقع اللغوي، ويدل واقع الدراستين على أن المنهج الآني لا يتعارض مع المنهج التاريخي والعكس صحيح، إذ يقوم المنهج التاريخي على: مصلحة العينات الآنية، وواضح أن العينة الآنية أسبق من الدراسة التاريخية، على العموم لا يتنافيان.

1- السعيد شنوقة، المرجع السابق، ص 73.

القضية الثالثة:

اعتماد المنهج المقارن في البحث اللساني، إذ استعمل كل القضايا المتعلقة بالجانب التكويني للّغات ومدى الصّلات التي تربط بعضها ببعض، وقد ألحّت هذه المدرسة على استعماله في كيفية أوسع بغية كشف القوانين التي تحكم بنية اللّغة في أنساقها المختلفة، ومدى التطور الذي عرفته هذه الأنساق في مراحلها.[1]

تمّت دراسة جوانب النظام اللغوي في مدرسة براغ من خلال المستويات التالية :

أ- الدراسة الصّوتية ب- الدراسة الصّرفية ج- دراسة البنى التركيبية.

أ- الدراسة الصّوتية:

ركّزت مدرسة براغ على دراسة الفونيم لأنها؛ تعد الفونيمات (الأصوات) تنتمي إلى اللغة بينما عدت الأصوات الكلامية تنتمي إلى الكلام، لذا انكبّت على دراسة الفونيم وتطوير نظرية الأصوات الوظيفية(النظرية الفونولوجية)بل وضع بعض أعضائها من دراسته ليشمل مجالات أخرى في الدرس اللساني، مثل : بحث الأسلوب والأسلوبية،[2] والصّوتيات فرع من اللسانيّات قوامه دراسة الأصوات الكلامية من حيث: نطقها وتمثيلها وتوزيعها، وتنقسم إلى ثلاثة فروع رئيسية:

- الصّوتيات النطقية: وتعنى بوصف الجهاز الصوتي ومخارج الأصوات أي: المتكلم.
- الصّوتيات السمعية: وتعنى بعملية تلقي الأصوات وإدراكها أي: المستمع.
- الصّوتيات الفيزيائية: وتدرس الجانب الفيزيائي، المتمثل في انتشار الموجات الصّوتية من فم المتكلم إلى أذن المستمع عبر ذبذبات صوتية معينة.[3]

ب- الدراسة الصرفية:

وهي دراسة تتمحور حول المورفيم، الوحدة المميزة الصغرى في التحليل القواعدي، وله أهمية خاصة في الدراسة الصرفية ويعد بديلا علميا لمفهوم "الكلمة" وذلك لصعوبة التّعامل بها في مجال الدرس الصّرفي، لأنه يمكن أن يكون المراد بها، أي بالكلمة البنية التركيبية كأن تقول: (ألقى الرئيس كلمة) وأنت تقصد (بكلمة) خطابا، لذا ينظر إلى

1- السعيد شنوقة، المرجع السابق، ص 75.

2- المرجع نفسه، ص75.

3- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 2005، ص 137.

المورفيم بوصفه وحدة وظيفية صغرى في تركيب الكلمات، فكلمات مثل : (رجل، حصان، في، على) هي كلمات ومورفيمات في آن واحد يمكن النظر إليها هكذا، غير أن كلمة: (عقولنا) نستطيع أن نحللها إلى ثلاثة مورفيمات: عقل + مورفيم الجمع (صيغة الجمع) + نا، ومورفيم الجمع تحقق فيه مستوى النطق الفعلي وهو مورفيم مجرّد، وقد لا يتحقق المورفيم في الكلام المنطوق، فهو مورفيم مغاير ويطلق عليه هنا مورفيم مغاير ذو وضع "صفر" أو فارغ نحو قولك : "شمس" التي لا أثر فيها لعلامة التأنيث، لذلك نقول إنّ تحقيق المورفيم فيها (صفر – فارغ).[1]

ج– البنى التركيبية:

بنت مدرسة براغ تحليلها للتركيب على منظور الجملة الوظيفي الذي حاول "فيلام متيسيوس" تطويره وتطبيقه على اللغة التّشيكية والإنجليزية وبعض اللّغات الأوروبية والمحصّلة في هذا المجال أنّ الشّكل العام لمنظور الجملة الوظيفي في اللّغات كلها قائم على الترتيب المفرداتي، وقد بنت هذه الأخيرة منهجها على الأساس في تحليلها للجمل وذلك بالنظر إلى مضمونها الإخباري وهو مطبق حتى الآن في تشيكوسلوفاكيا وبعض الدول في أوروبا، فكل عنصر أساسي في الجملة له مساهمة أو دور دلالي وذلك بحسب الفعالية التي يقوم بها في عملية الاتّصال، ويمكن النظر في هذا الإطار إلى ترتيب مكونات الجملة كما هي: أ – يأتي "الموضوع" أولا ب – يليه "الخبر" ثانيا، وفي حالة التّوكيد على الخبر يلجأ إلى التّقديم أو التّأخير.[2]

نخلص في الأخير إلى القول أن مدرسة براغ هي ذات نزعة وظيفية من منطلق أن اللغة تمكن الفرد من التعبير والتواصل وتحديد وظيفة اللغة الأساسية المتمثلة في الاتصال، إذ رسّخت مفهوم البينة انطلاقا من مفهوم النّسق من خلال تصورهم لعمل العناصر اللغوية بحكم قوانين محددة تحكمها، واعتمدت في دراستها على المنهج الآتي : الوصفي والزماني والتاريخي بالإضافة إلى المنهج المقارن، كما اهتمت في دراستها على

1– السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 76.

2– المرجع نفسه، ص 78.

دراسة جوانب النظام اللغوي على مستويات صوتية، صرفية، تركيبية، وركّزت على الدراسة الصوتية ووضعت بذلك أسس للتحليل الفونولوجي.

رابعا: مدرسة كوبنهاجن (النسقية)

هي من أشهر المدارس اللسانية التي ظهرت في أوروبا في مطلع القرن العشرين، يرجع الفضل في تأسيسها إلى اللسانيين الدنماركيين: "لويس يلمسليف" (1899-1965)و"فيكو بروندال" (1887-1942)، وقد قامت هذه المدرسة على أصول ومبادئ المدرستين السابقتين، مدرسة دي سوسير ومدرسة جنيف.[1]

ويعد يلمسليف هو الذي أعطى لمدرسة كوبنهاجن بعدها النظري والإجرائي، إذ يعود له الفضل في امتداد هذه المدرسة في الدّراسات اللسانيّة والسميائيّة خارج كوبنهاجن، وكان لوالده أستاذ الرياضيات تأثير كبير في تفكيره العلمي، لذلك كان نزيعا إلى إسقاط مبادئ المنطق الرّياضي على المنهج اللّساني أثناء تعامله مع الظّاهرة اللسانية، فالنّظرية الغلوسيماتيكية التي اشتهر بها هي نظرية لسانية تستمد أصولها المنهجية من المنطق الصّوري.[2]

ترتكز مدرسة كوبنهاجن على مرجعية نظرية تستمد أصولها المعرفية والمنهجية من تلك المبادئ اللسانيّة التّأسيسية التي جاء بها دي سوسير في بداية القرن العشرين والتي وردت في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" إذ أعادت جماعة كوبنهاجن صوغ تلك المبادئ في مفاهيم ومصطلحات جديدة وتجلى ذلك واضحا في حرص يلمسيلف على التمسك بأفكار دي سوسير فكثيرا ما كان يشير إلى أنه الوارث الشرعي لهذه الأفكار، تبنى بعض الأسس المنهجية النظرية التي يتميز بها المشروع اللساني عند دي سوسير ويتخذها منطلقا لنظريته منها نظرة دي سوسير للغة بأنها شكل وليست مادة.[3]

أي أن اللغة تدرس بوصفها بنية متكونة من مستويين:

1- حلمي خليل، دراسات اللسانية التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000، ص 231.

2- أحمد حساني، المرجع السابق، ص 78.

3- المرجع نفسه، ص 83.

- مستوى التعبير (الدال).
- مستوى المضمون (المدلول).

يرتبط هذان المستويان فيما بينهما لتحقيق العملية التواصلية، معنى ذلك أن المادة الصوتية الخام (الصوت في الواقع)، لا تكون لغة كما أنّ المعنى المجرّد من حيث هو حقيقة واقعيّة لا يكون لغة أيضا، فاللّغة تتحقّق بحدوث الدّلالة بواسطة الاقتران الثنائي بين مستوى التعبير (الدال) ومستوى المضمون (المدلول) في سياق التواصل.[1]

- نشأة نظرية الغلوسيماتيك :

في عام 1933، اشترك كل من "يلمسليف" و"أولدل" في بلورة بحث علمي متخذين موقفا مغايرا من مدرسة براغ، وفي عام 1935، اقترح هذان الباحثان تسمية النظرية الجديدة التي كان بصدد تقديمها في المؤتمر الدولي الثاني للعلوم الصوتية بعلم الفونيمات بوصفها نظرية متميزة عن نظرية براغ الفونولوجية، وأثناء المؤتمر الدولي الثالث للسانيات، الذي انعقد بكوبنهاجن سنة 1936 كانت رغبة التمايز عن علماء مدرسة براغ قد تجسّدت بخلق مصطلح الغلوسيماتيكيّة.[2]

جاءت هذه النظرية لتتخلّى عن الدّراسات اللّغوية المتأثّرة بالفلسفة والأنثروبولوجيا واللسانيّات المقارنة وتقيم لسانيات مبنية على أسس رياضية ومنطقية وكلية تعنى بوصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية، وتتميز هذه النظرية عن باقي النظريات اللسانية الأخرى بدرجة لا مثيل لها من التجريد النظري وبخاصة في مجال التّعريف والتّنظيم والتّصنيف، وكما يقول "يلمسيلف": "أنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي، يكمن في فهم كل من النّصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل، إنّها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية والشّكلية"، والتّعريفات والنّظريات المحكمة التي يمكن من إحصاء كل إمكانات التأليف بين عناصر النص الثّانية.

1- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 84

2- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 158

وتهتم الغلوسيماتيكيّة بدراسة الغلوسيمات أي الوحدات النّحوية الصغرى التي لا تقبل التّجزئة وتنقسم بدورها إلى قسمين : وحدات التّعبير وتدعى سوائم (cénemes) بمعنى فارغ، ووحدات المحتوى وتدعى مضامين (phermes) بمعنى ملئ.

وهكذا فإنّ الوحدات ذات المحتوى كمورفيمات (morphemes)، مدرسة براغ، أولفاظم (monémes)، مدرسة جنيف أصبحت تدعى مضامين أو مكونات دلالية.

وقد استبدل يلمسيلف ثنائية اللّغة والكلام لدي سوسير بثلاثية أخرى أطلق عليها : النّمط والنّص والاستعمال.[1]

ومن بين المصطلحات التي جاءت بها مدرسة كوبنهاجن لسانيّات المحادثة ؛للدلالة على عزل الظاهرة موضوع الدراسة عن العالم الخارجي، والتعامل معها في ذاتها ولأجل ذاتها من حيث هي حقيقة واقعيّة تحمل مقوّمات وجودها في نظامها الداخلي وكان هذا المبدأ أساس المنهج اللّساني عند دي سوسير، يقول "جورج مونان" في هذا السياق : "إنّ المبدأ السويسري الأوّلي الأساسي الذي يؤكّد على تميّز العلوم اللّسانية عن باقي الدراسات اللغوية، ويعدّ اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيّات"، وقد أصبح يسمّى في اصطلاح "يلمسيلف" بمبدأ المحايثة (Immanence) وهو نقيض التّسامي (Transcendance).[2]

– يتبين مما ذكر أن كوبنهاجن قامت في فترة تشهد حركة علمية نشيطة، إذ يهدف روّادها إلى أن يكون موضوع اللسانيّات علما بحثا وتوجيه الدراسات اللغوية نحو المناهج العلمية والرياضية، ونقد الأساليب الأدبية القديمة التي كانت تعتمد على العوامل الخارجية في تحليل بنية النسق اللساني، وقد قابلته بالنّسقية التي تنصّب على داخل النّص فهي تصدر منها وإليها ولا تخرج عن ظاهرة اللّغة، ومن أهم مصطلحاتها الغلوسيماتيك وهي أهم نظرية أثبت من خلالها جماعة كوبنهاجن أنّ النّسق اللّساني والتركيبي هو الذي يحدد القيمة الوظيفية لمختلف الوحدات الصّوتية والدّلالية.

1– المرجع السابق، ص 160.

2– أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 89.

– إنّ لسانيات المحايثة هي المرتكز الأساس في دراسة الظاهرة اللغوية لأنها تتعامل معها من حيث أنّها حقيقة توجد في الواقع المادي تحمل في طياتها مقوّمات وجودها في نظامها الدّاخلي بعيدا عن كل ما هو خارجي قد يأخذ بالظاهرة إلى منحى آخر.

إضافة إلى أن مدرسة كوبنهاجن قد تراجعت واستبدلت العديد من المصطلحات واعتمدت على غيرها وهذا دليل على النظرة الجديدة ومحاولة تأسيس نظرية علمية لوصف اللّغات.

خامسا: المدرسة الإنجليزية (مدرسة السّياق)

يعد فيرث (1890–1960) أول من جعل اللّسانيات علما معترفا به في بريطانيا.

لقد درس فيرث التاريخ في المرحلة الأولى من دراسته الجامعية قبل أن يغدو جنديّا في الإمبراطوريّة البريطانيّة أثناء الحرب العالميّة الأولى، ثم عمل أستاذا للأدب في البنجاب سنة 1919، وبعدها عاد إلى بريطانيا ليشغل منصبا في قسم الصّوتيات في الجامعة البريطانيّة، وفي سنة 1944 كان أوّل أستاذ في اللسانيّات العامة في بريطانيا.

انصب اهتمام فيرث على الصّوتيات الوظيفية وعلم الدّلالة أو ما يعرف بالنظرية السياقيّة، تقوم نظرية فيرث السياقية على إعادة الاهتمام بالأحوال والمحيط الذي يتضمن الأحداث الكلامية، فالقول أن الإدراك اللغوي والمعرفي يحصلان عندما تنتقل الأفكار من رأس المتكلم إلى السامع ليس إلا خرافة مضللة.

فالكلام ليس أقوالا بل أفعال تحتوي الحدث الكلامي، والقضايا المادية المحيطة بالنّص المنطوق أو المكتوب " اللّغة باستعمالاتها البدائيّة حلقة اتصال في نشاط بشري جماعي ... إنّها نمط من العمل وليست أداة للتأمل."[1]

ويورد مالينوفسكي في معرض شرحه لرأيه بعثة صيد في تروبرياند فيقول "يتم توجيه مجموعة من قوارب الصّيد وتنظيم حركتها باستمرار عن طريق الكلام ... فالصّرخة التي تعلن وجود كميّة من الأسماء تعني إعادة تنظيم جميع حركات القوارب من جديد"

1 – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2005، ص 20–21.

ومن جهة أخرى فإن الطّريقة التي استعملت فيها [اللّغة] الآن في كتابة هذه الكلمات هي من الاستعمالات الفرعية والبعيدة للغة"، فالكلمات هي أدوات ومعنى "الأداة" يكمن في استعمالها،[1] ومعنى ذلك أنّ الكلمات والعبارات لا تتضح إلاّ إذا ارتبطت بالأنماط الحياتية للجماعة المتكلمة.

كان فيرث يسعى جاهدا إلى وضع علم للدّلالة قائما بذاته في إطار إجراءات المنهج الوصفي، كان يصرح دائما بأنّ دراسة الدّلالة هي المهمة الرئيسيّة للسانيّات الوصفية، ويرى أنّ المعنى هو مجموعة مركبّة من العلاقات السياقيّة وعلى الدراسة الفونولوجية والتركيبية، والمعجمية والدلالية أن تعالج مكوّنات هذه المجموعة في إطار سياقها.[2]

ميّز فيرث في علم الدّلالة بين نوعين من العلاقات ترتبط بهما الألفاظ:

العلاقات الشّكلية أو الدّاخلية، العلاقات الموقفيّة، ويشمل النوع الأوّل العلاقات التي تربط وحدة لغوية معينة بالوحدات الأخرى، كالعلاقة الموجودة بين الوحدات اللغوية في تتابع ما، والعلاقات التركيبية بين الوحدات النّحوية، إضافة إلى العلاقات الفونولوجية بين الوحدات الصّوتية.

أمّا النوع الثاني فيشمل العلاقات بين الوحدات اللغوية ومكوّنات الموقف غير اللغوية، وبما أنّ مفردات اللغة تقوم بدور مميّز في هذين النّوعين من العلاقات فتكوّن لها معاني شكلية وموقفية في آن واحد.

ويبدو في نظر فيرث أن هناك معادلة بين معنى الكلمة ومجموعة السياقات اللفظية التي ترد فيها؛ فكلمة "الطيور "يمكن ان تملأ الفراغ في الجمل الآتية : "تبني ..... أعشاشها"، "تزقزق... صباحا"، وبالفعل فإنّ وقوع هذه الكلمات في هذه السياقات المختلفة، يبيّن بوضوح معناها اللغوي، والمعنى على المستوى النحوي هو لون آخر من ألوان المعنى الشّكلي، إنّه القيمة التي تكتسبها كل وحدة نحوية من خلال علاقاتها بالوحدات الأخرى.[3]

1- جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، النشر والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص 238.

2- أحمد حساني، المرجع السابق، ص 98.

3- أحمد مومن، المرجع السابق، ص 179.

وعلى هذا الأساس؛ فإنّ التفسير الدلالي في ظل النظرية السياقيّة يبنى مبدئيا على حصر السّياقات المختلفة التي يظهر فيها عادة العنصر اللساني بوصفه مدخلا معجميا غير ثابت يتغير بتغير المواقف، والسّياقات المختلفة التي يرد فيها، سواء أكانت هذه السياقات لسانية أم غير لسانية.[1]

وفيما يخص الصّوتيات الوظيفية فقد ميّز فيرث بين مستويين تتبدّى فيهما الوظائف في النسق اللساني:

- **المستوى الأوّل:** مستوى الوحدات الصّوتية الوظيفية وهي الصّوامت، الصّوائت، المقاطع الصّوتية.[2]

- **المستوى الثّاني:** مستوى الوحدات الصّوتية فوق مقطعية (الفوقطعية)، وتشمل ظواهر صوتية مختلفة: كالنّبر، النّغم، التّنغيم، وتقترن هذه السّمات الفوقطعية بالمقطع والجملة وشبه الجملة، وفي اللّغة الإنجليزية يعدّ التّنغيم سمة فوقطعية على مستوى الجملة وشبه الجملة، ويعدّ النّبر وطول الصّوت من السّمات الفوقطعية على مستوى المقطع، ومن جهة أخرى هناك لغات نغمية، حيث يحدث فيها اختلاف درجة النّغم اختلافا في معنى الكلمة الواحدة، كما هو الشّأن في النرويجية والصينية، وقد عرّف " فيرث" الفكرة القائلة بأنّ كل السّمات الصّوتية المميّزة للغة ينبغي أن تعزى إلى مواقع قطعية منفردة، وأتى بنظرية التحليل الفوقطعي التي تعنى بتحليل الكلام إلى فونيمات قطعية وفونيمات فوقطعية، وأعدّ هذا النوع من التّحليل الصّوتي في إطار نظريته العامة التي تدعى بالنظرية السياقية، والفونيم القطعي هو أصغر وحدة صوتية متمثلة في أحد الصّوامت أو الصّوائت التي نتلفظها، والفونيم الفوق قطعي هو فونيم يزامن أحيانا الفونيم القطعي، وقد يكون نبرا أو نغما أو فاصلا ويطلق عليه أيضا الفونيم الثانوي أو البروسوديم.[3]

وعلى غرار " فيرث" درس "هيندرسون" الظواهر الصوتية بعمق، وتوصل في سنة 1949 إلى ضبط قائمة من السمات الفوقطعية والوحدات الفونيمية التالية:

1- أحمد حساني، المرجع السابق، ص 99.

2- المرجع نفسه، ص 96.

3- أحمد مومن، المرجع السابق، ص 183-184.

أ. السمات الفوقطعية على مستوى الجملة : التّنغيم.

ب. السمات الفوقطعية المتعلقة بأجزاء الجملة: النّبر والتّنغيم.

ج. السمات الفوقطعية الخاصة بالمقطع: طول الصّوت، النّغم، النّبر، التّغوير، الإطباق الشفوي.

د. السمات الفوقطعية الخاصّة بأجزاء المقطع: الهائية، الارتداد، الانفجار، الإغلاق الغير الانفجاري.

ه. العناصر الفونيمية الصائتة والصامتة : طبقي، أسناني، شفتاني، أنفي، أمامي، خلفي، مدور، غير مدور.[1]

من خلال هذه النقاط نجد بأنّ أهم جانب تمت دراسته في الصوتيات الوظيفية هي الفونولوجيا الفوق مقطعية التي تعتبر من أكثر الجوانب تميّزا في أعمال فيرث الصّوتية.

نخلص مما سبق أنّ المدرسة الإنجليزية(السياقيّة) أهم ما ركّزت عليه؛ أنّ اللغة ليست مجرد إشارات بل هي رصيد ثقافي واجتماعي حيث يؤدي السياق دورا مهما في فهم المعنى، وأن المواقف الحركية والسلوكية كذلك هي موضوعات متّصلة بالحدث الكلامي، كما ركّزت على المقام والسياق في تفسير التراكيب اللغوية، لأنّ السياق هو الذي يحدد القيمة الدّلالية للخطاب أو النص.

أمّا عن الدّراسات الصّوتية الوظيفية فهي نتيجة عملية نتجت عن دراسات لسانية وصفية معتمدة في ذلك على المعاينة المباشرة للحدث اللغوي، وهذا ما جعل بعض الدارسين في عدّها من ابتكارات المدرسة الإنجليزية، وجعلوها امتدادا لجهود علماء الأصوات الإنجليز السابقين.

سادسا : المدرسة الأمريكية (التّوليدية – التّحويلية)

تأسّست هذه المدرسة في مرحلتها الجنينية انطلاقا من الدراسات السابقة الأنثروبولوجية التي اهتمت بدراسة العناصر البشرية لقبائل الهنود الحمر، واكتشاف خصائصها الثقافية، وفي ظل هذا الاهتمام نشأت الدراسات اللسانية الوصفية على يد (BOSS) ثم سابيير ثم

1- أحمد مومن، المرجع السابق، ص 184.

تلاهما بلومفيلد بخاصة بعد إسقاط المفاهيم السّلوكية على الدراسة اللسانية، ثم تشومسكي في نظريته التّوليدية التّحويلية.[1]

لم يكن النّحو التوليدي التحويلي ليظهر في حقل الدراسات اللسانيات، ويحظى بالمكانة المرموقة التي ذاع بها، لو لم تكن ثمّة أرضية تمهّد لظهوره وتطوره وتكون البذرة الأولى له وقد تمثل أولا في الاتجاه اللساني الأمريكي الوصفي الذي تزعمه " هاريس" والمعروف بالتوزيعية الذي نادى أساسا بضرورة وصف اللّغة مستقلة عن المعنى معتمدا في ذلك على العلاقات الموجودة بين الكلمات، أي الأماكن المتواترة التي تتواجد فيها، في السلسلة الخطية لعملية التكلم وهذا ما يعرف بالتوزيع.

فالتوزيع؛ هو منطق التحليل اللساني في المدرسة الأمريكية الوصفية، وهو ينطلق من مدّونة محدودة، ليحصر مجموع السياقات أو المواضيع التي ترد فيها الوحدات اللغوية الدالة عن طريق استبدال كلمة بأخرى، من أجل تحديد توزيعها، أي القسم الذي تنتمي إليه، متميزة بذلك عن الوحدات الأخرى في التوزيع.

فالتوزيع مفهوم يرتبط بالموضوع الذي توجد فيه الكلمات، أي كل ما يحيط بها يمينا أو شمالا،[2] ومن المفاهيم التي شهدتها المدرسة الأمريكية النظرية السلوكية ل "بلومفيلد" حيث نظرت هذه الأخيرة إلى اللّغة بوصفها (مادة) قابلة للملاحظة المباشرة ورأت أنّ دراسة المعنى قد تعوق الوصول إلى القوانين العامة التي تحكم السلوك اللغوي.

والتصور السلوكي عند بلومفيلد يعود إلى المعادلة المشهورة : "لكل مثير استجابة"، ذلك أنّبلومفيلد يدرس التصرّف الإنساني بوصفه مجموعة من المثيرات والاستجابات، فالمثير حدث واقعي يمكن أن يتوصّل من خلال الخطاب، ولعلّ هذه القضية من أهم النقاط التي تقوم عليها نظرية بلومفيلد السلوكية، حيث اعتبر اللغة نتاجا آليا واستجابة كلامية لحافز سلوكي ظاهر، وعلى هذا الأساس حاول تفسير الحدث الكلامي من منظور سلوكي بحث

1- أحمد حساني، المرجع السابق، ص 99.

2- شفيقة العلوي، المرجع السابق، ص 35.

أطلق على هذا المنهج الذي اتبعه في دراسة اللغة اسم "المنهج المادي أو الآلي"، وهو منهج يفسر السّلوك البشري في حدود المثير والاستجابة.[1]

- النحو التّوليدي التّحويلي:

يوعز هذا الاتجاه إلى العالم اللغوي الأمريكي نعوم تشومسكي، وقد قام على أنقاض الاتجاه التوزيعي الذي تراءى لتشومسكي عدم جدوى هذا المنهج أثناء تطبيقه في دراسة الجمل لعدم اهتمامها بالدلالة، ولعدم تطبيقها على أنواع الجمل كافة أو على الأجزاء الرئيسية منها، ذلك أنّها تعجز عن تفسير العلاقات بين الجمل ذات المعنى الواحد مع اختلاف تراكيبها ظاهريا، أو ذات المعاني المختلفة، ولكن بنياتها الظاهرية واحدة، وقد أسّس نظريته على مبدأين هما : فكرة (التّحويل) في البنى وهي فكرة تعود على صاحبها "هاريس" أستاذ (تشومسكي)، وفكرة (التّوليد) وهي الفكرة التي تمخّضت عنها دراسات تشومسكي، وجمع بذلك في نظريته بين قواعد التوليد وقواعد التحويل، وتؤمن هذه النظرية بأنّ النّحو أصول قواعدية يختزنها ذهن مستعمل اللغة، وهي قواعد يفيض عليه بها الواقع، وهي التي تجعل المتكلم للغة ما، قادرا على أن يكتسب ما يشاء من لغات وهو تبعا لذلك وبناءا عليه، يمكن له أن (يولّد = ينتج) جملا لم يسمعها من بيئته الاجتماعية، وهو المراد بمصطلح (التوليد)، فإذا كانت الجملة الكلية تقوم على جملة نواة أخرى غير النواة، فإنّ الجمل غير النّواة إنّما تشتق من الجمل النّواة بواسطة قواعد تحويلية، فالنّحو (التوليدي التحويلي)، منظومة قواعد تقوم على وصف الجمل وصفا واضحا محددا.

إنّ الفطرة اللغوية التي هي أساس النظرية التوليدية التحويلية، تقوم أساسا على عدد من الكلمات النحوية، (القواعد الكلية) التي تضبط الجمل والتراكيب المنتجة في كل لغة من اللغات، فهي إذن قواعد عامة وشاملة إلاّ أنّ المتكلم يختار من تلك القواعد ما يتلاءم مع لغته، فكل فرد من أفراد مجتمع معيّن يملك هذه القواعد الكلّية، بالتعابير اللغوية والتراكيب النحوية المنبثقة عن لغته[2].

ومن المفاهيم الأساسية التي بنيت عليها النظرية التوليدية التحويلية نجد:

1 - وليد محمد السراقبي، المرجع السابق، ص 59.

2 - نصر الدين بن زروق، المرجع السابق، ص 84.

أ- مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية :

ميّز تشومسكي أثناء دراسته للّغة بين نوعين من البنى : بنية عميقة وبنية سطحية والفرق بينهما؛ أنّ الأولى هي الأصل وأساس التركيب النحوي وهي تمثل المستوى المجرد للبنية أو بعبارة أخرى هي النّواة التي لايمكن فهم المعنى المقصود إلاّ بالرجوع إليها، وهي الحد الأدنى من العناصر اللغوية المؤلفة للجمل التي تفيد معنى يحسن السلوك عليها و لتوضيح ذلك نأخذ بعض الأمثلة :

- نجح الطالب، بلغ محمد رسالته؛ فهذه الجمل هي جمل عميقة وجبرية تحمل معاني قريبة لكنها قد تحوّل إلى جمل سطحية، وإلى معاني أخرى غير تلك التي كانت تدل عليها وبالتالي فإنّها تتحوّل إلى جمل سطحية على النحو التالي :

- نجح الطالب في المسابقة .
- بلغ محمد رسالته بأمانة.

فالبنية السطحية إذن هي الجملة الناتجة عن تغيرات تحدث للجملة العميقة سواءا أكان عن طريق الحذف، الزيادة، ثم التقديم أو التأخير.

و الرّسم الموالي يوضح عملية إنتاج الكلام وفق النظرية التوليدية التحويلية :

العملية التحويلية التركيبية

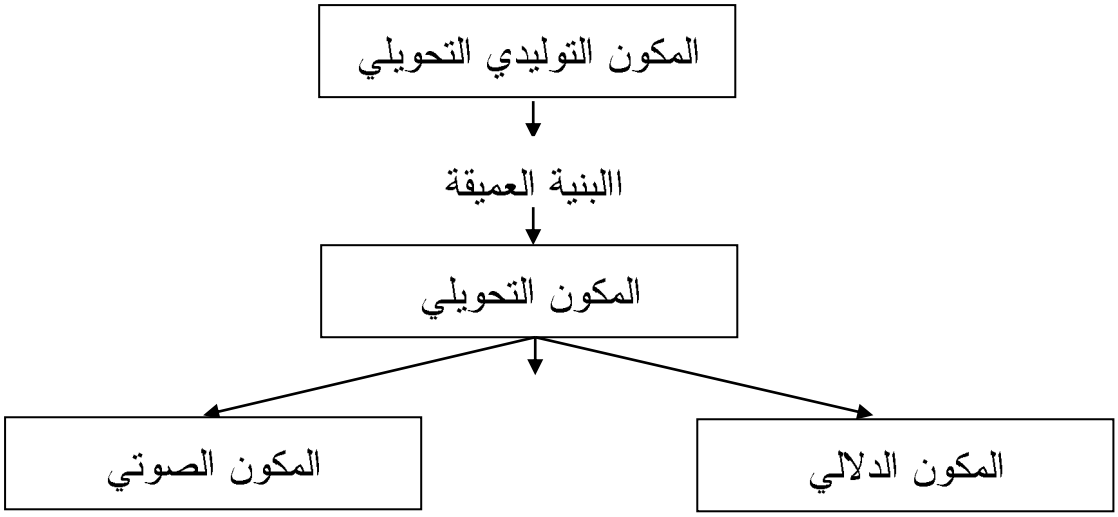

1

1- نصر الدين بن زروق، المرجع السابق، ص 86.

فالعملية التحويلية التركيبية يولد فيها المكوّن التركيبي، ابتداء من البنية العميقة للجملة، ويتحول المكوّن بواسطة التحويل من بنية عميقة إلى بنية سطحية من خلال الزيادة والحذف والتقديم والتأخير، بعد هذا التحويل يقدّم المكون الدلالي التفسيرات الدلالية للبنية العميقة، ويقدّم المكون الصوتي من خلال القواعد الصّوتية تمثيل الجملة في بنيتها السطحية، والتحويل هو نقطة اتصال بين البنية العميقة التي تمثل المعنى وبين البنية السطحية التي تمثل التعبير سواء أكان كتابة أو لفظا.

ب- مفهوم الكفاءة والأداء :

يشير مصطلح الكفاءة(الكفاءة اللغوية) (competence) إلى القدرات اللغوية " ابن اللغة" التي تمكنه من التعبير عن نفسه وفهم الآخرين، لذلك يرى علماء النظرية التحويلية أنّ تحديده الدقيق هو : معرفة المتكلم، السامع بلغته.[1]

تعني "القدرة الضمنية التي يمتلكها المستمع والتي تخوّل له إنتاج عدد هائل لا حصر له من لغته الأم على أساس أنّها حقيقة كاملة وراء الأداء الكلامي.[2]

لقد أعاد تشومسكي في كتابته الأخيرة النظر في مفهوم مصطلح الكفاءة وحصره في أمرين هما:

1- الكفاءة النحوية (grammatical competence):

وهي تتصل بنظرية تركيب الجملة والمعرفة بالقواعد النحوية، وقد اتسع مفهوم تلك الكفاءة ليشمل نظرية استعمال اللغة على وجه العموم، وتتصل الكفاءة النحوية بما يسمى "الحدس" لدى إبن اللغة الذي ينحصر في أمرين هما: الحدس اتجاه الجملة المحكمة في صياغتها والحدس اتجاه تركيب الجملة فكلمة "الحدس" قد أصبحت من المصطلحات التي لها استعمال خاص في علم اللغة منذ أن ربطها تشومسكي وأتباعه بالكفاءة النحوية لدى ابن اللغة ومقدرته على إصدار أحكام على الجمل، وقد أصبح الحدس يدور في أربعة

1- محمود سليمان ياقوت، مناهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الكويت، ط1، 2011، ص 150.

2 - نصر الدين بن زروق، المرجع السابق، ص 87.

مجالات تتصل بالأصوات، الصرف، النظم، الدلالة، لأنّابن اللغة لديه مقدرة على معرفة ما في أيّة جملة من خلل يتصل بأصواتها، أو بنائها الصرفي أو نظامها أو دلالة ألفاظها[1].

2- الكفاءة البرجماتية :

البراجماتية علم يهتم بدراسة العوامل التي تؤثر على الشخص في اختياره للغة، وتأثير هذا الاختيار في الآخرين، وتتصل الكفاءة البراجماتية بالدور الذي تؤديه العوامل غير اللغوية في استعمال اللغة والقدرة على تأويلها لمعرفة معانيها، لذلك يقال إننا من الناحية النظرية نستطيع استعمال ما يحلو لنا من عبارات وجمل، ولكن من الناحية العملية نجد أنفسنا مقيدين بالعديد من القوانين الاجتماعية التي تحكم هذا الاستعمال.[2]

وهذا يعني أنّ اللغة ترتبط بالوضع الذي تستخدم فيه كأن يربط الفرد أغراضه ومقاصده بالوسائل اللغوية المتاحة.

تتصل الكفاءة اللغوية بالأداء الفعلي للغة في الواقع، أو هي حسب تشومسكي "الإنجاز الفعلي للغة في الظروف المحسوسة، فالتأدية الفعلية إذن؛ هي ذلك الانتقال الناتج عن الصورة الذهنية إلى الواقع المحسوس، وذلك إمّا عن طريق الأصوات أم الكتابة ويمثل هذا الكلام المنجز البنية السطحية للغة المشتركة بين جميع أبناء المجتمع الواحد وليس بالضرورة أن يكون الأداء الفعلي مطابقا للصورة الأصلية والصحيحة، بل قد يختلف عنها اختلافا قليلا أو كثيرا حسب الظروف المحيطة بالمتحدث أو المنتج للكلام، أو حسب السياق الذي يرد فيه القول.[3]

نخلص مما تقدم أنّ؛ المدرسة الأمريكية قد بدأت تظهر ملامحها من خلال تعدد اللغات الذي كانت تشهده أمريكا، وقد بدأ الدرس اللساني الأمريكي فعليا مع بلومفيلد الذي وضع منهج لساني بنائي كرد فعل ضد القائلين بالنحو النظري المتصور في الأذهان فقط، ثم نظريته السلوكية التي حاول من خلالها تفسير الحدث الكلامي من منظور سلوكي بحث، إضافة إلى المنهج التوزيعي الذي يعتمد في تحليله للكلام على القرائن، أو العلامات

1- محمود سليمان ياقوت ، المرجع السابق، ص 151.

2 - المرجع نفسه، ص 152.

3- نصر الدين بن زروق، المرجع السابق، ص 88.

اللغوية التي تحيط بالكلمة، إلا أنّ هذه الاتجاهات (السلوكية – التوزيعية) كانت توصف بشيء من الصّعوبة والغموض ممّا جعل استمرارها مستحيل، إذ ابتعدت عن واقع الدرس اللساني، هذا الابتعاد أكدّ على عدم جدواها في الدراسات اللغوية وهذا النقص أدى إلى ظهور نظرية جديدة أكثر اكتمالا وهي "التوليدية التحويلية" التي أحدثت ثورة في اللسانيات بوضعها منهجية جديدة وخاصة لدراسة الجملة وتحليلها واستكشاف بنيتها، إضافة إلى السعي لتحليل وتفسير الفعل اللساني بدلا من وصفه وصفا شكليا فقط.

من خلال عرضنا لكل هذه المدارس؛ نرى بأنّ الدرس اللساني هو ذو حركية وحيوية وامتداد، حيث تحاول اللاحقة منها تجاوز النقص والنقد الموجه للسابقة منها، فكل مدرسة تطمح إلى بناء نظرية لغوية خاصة بها أكثر شمولا للغة ،فتعددت بذلك الاتجاهات بحيث لكل اتجاه مبادئه وأصوله الخاصة في الدراسة اللسانية، هذا النشاط والتطور أدى إلى دخول الدرس اللساني إلى ثقافتنا العربية وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: اللسانيات عند العرب.

تمهيد:

اللسانيات علم غربي ولد في قلب أوروبا مرورا بأمريكا، علم مكتمل غنيّ فكريا أوجدته ظروف لغات وثقافات غريبة، وكان من نتائجه أنّه شقّ طريقه نحو ثقافات إنسانية مختلفة، فكان للثقافة العربية نصيب من هذا العلم الوافد، من هذا المنطلق يمكن أن نسأل كيف لهذا الدرس اللساني الغربي أن تتجلى معالمه في ثقافتنا العربية، وكيف كانت السبل المتبعة في الانفتاح عليه، ومن أجل فهم واقع اللسانيات في الثقافة العربية، كان لابد أن ننطلق في ذلك من ملابسات النشأة وتلقي الفكر العربي "للسانيات".

المطلب الأول: انفتاح الثقافة العربية على الدرس اللساني.

هناك العديد من العوامل ساهمت في الكشف عن الوضع المعرفي التاريخي العام لتلقي اللسانيات ودخول الدرس اللّساني نحو الثقافة العربية، تتمثل هذه العوامل في:

1. النهضة الفكرية العربية:

1-1- المشكلة اللغوية في المرحلة العثمانية:

عرفت الثقافة العربية إبّان الحكم العثماني درجة من التقوقع والانكماش لم تشهد له مثيلا عبر تاريخها الطويل، وقد كان الجانب اللغوي من أبرز الجوانب التي جسدت وضوح التّخلف الفكري والانحطاط الثقافي في تلك المرحلة. ويمكن أن نفسّر ذلك الركود على المستوى اللغوي خصوصا بإدراك العثمانيين للعروة الوثقى بين العربي ولغته، وأهمية الوازع الديني في تعزيزها وتوثيقها. كما يمكن أن نفسر ذلك بشعور الأتراك بضعف لغتهم مقارنة باللغة العربية، وهذا ما حدا بهم إلى إيجاد ستائر عازلة بين العرب ولغتهم، ظهرت أبرز تجلياتها في غياب وسائل التعليم وندرة الكتب، وزاد الأمر سوءا أنّ أدب العصور الزاهية قد نسيته ذاكرة الناس واندثرت نماذج البيان الأدبي وانمحى ما كان

لهذه الثقافة العظيمة من أثر روحي. وقد وازى تخلف اللغة العربية تخلف الكتابة وفسادها.[1]

فالحكم العثماني قد ضيّق على العرب من جميع مجالات الحياة وبخاصة الجانب اللغوي والفكري منها، ممّا سبب ركودا وانحطاطا ونتيجة لذلك اتجه العرب نحو التغيير والنهوض باللغة العربية إلى مستوى أرقى.

1-2- إرهاصات التغيير:

شكّلت حملة نابليون (1767- 1821) على مصر البداية الفعلية لانفتاح الثقافة العربية على الثقافة الغربية، كمل كانت إيذانا بتحوّلات جذرية عميقة مهّدت للتخلص من ضائقة الاستبداد العثماني، ويمكن أن نلخص أهم التحولات التي كان لها علاقة بالجانب اللغوي في مسألتين:

أ ــ الإحساس بأهمية الماضي الحضاري: وقد حفز على ذلك تمكن "جان فرانسوا شامبليون" من فك رموز الحروف الهيروغليفية (المصرية القديمة)، حيث فتح أمام المصريين الطريق لمعرفة عظمتهم التاريخية التي بعثت فيهم التعالي على الأتراك والاستيلاء على المماليك، بل واحتقارهم وازدرائهم. فكان ذلك بوادر التحوّل التي عرفتها الثقافة العربية.

ب ــ تنامي الشعور القومي: انصب الاهتمام على هذا الجانب لأهميته في وصل الحاضر بالماضي، والمفاخرة بالإرث الحضاري، واعتباره الذخيرة الروحية للأمة والشعور بالجوانب القومية الموحدة سواء أكانت عرقية أم لغوية أم ثقافية، فشكّلت هذه الأسس المرتكزات الأساسية والفكر والمجتمع. واستأثر الإصلاح اللغوي اهتمام زائد؛ لأنّ اللغة هي وعاء الحضارة، ولأنّ ثورة التجديد تبدأ من اللغة وطرائق دراستها واستخدامها.[2]

1- حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص21.

2- المرجع نفسه، ص 23.

فمشكلة القومية هيأت ظروف سمحت للباحثين النهضويين بالانشغال بقضية الإصلاح اللغوي والنهوض باللغة وإعادة الاعتبار لها حتى تستجيب لمقتضيات الحضارة الحديثة، ومن مظاهر هذا الإصلاح.

1-3- النقل والترجمة في عصر النهضة العربية:

شكلت قضية الترجمة ومشاكلها أحد الاهتمامات البارزة عند النهضويين رغبة منهم باللحاق بالغرب المتقدم، فاستوجب ذلك الإطّلاع على العلم المادي الغربي عن طريق النقل والترجمة " إذ بدأت هذه الحركة في مصر في عهد "محمد علي" فكانت نهضة سياسية وفكرية واجتماعية تعتمد سياسة إصلاحية جديدة فترجمت الكتب الأوروبية في مختلف العلوم الحديثة إلى العربية، وقد انتشرت هذه الكتب كثيرا بتشجيع من محمد علي لمترجميها ومكافأتهم بطبعها على نفقة الدّولة في مطبعة بولاق.[1] هذا رغبة من (محمد علي) في مواكبة مظاهر التحولات التي عرفتها مناحي الحياة العربية.

ونتيجة لمتطلبات هذه الحركة اللغوية القائمة على النّقل والتّرجمة من اللّغات الأجنبية إلى اللغة العربية. ثمّ إنشاء في مصر (مدرسة الألسن والترجمة) 1837 وأسندت إدارتها لـــ"رفاعة الطهطاوي". وكان الطهطاوي وهو يخطط لإنشاء مدرسة الألسن بالقاهرة قد استحضر أمامه نموذج مدرسة الألسن الشرقية بباريس التي تأسست سنة 1795 ولنفس الغاية، أي متطلبات الترجمة والنقل، شهدت تونس سنة 1840 تأسيس مدرسة "باردو العسكرية"، هي أول مدرسة تعليمية رسمية تعنى بترجمة النصوص والمؤلفات الأوروبية للغة العربية.[2] وكانت الترجمة أيضا وراء قيام النّواة الأولى لأول مجمع لغوي عربي بدمشق انطلقت بدايته بإنشاء الشعبة الأولى للترجمة والتأليف سنة 1918.

تميّزت الكتابة اللغوية النهضوية ما بين نهاية القرن التاسع عشر ومنتصف العشرين بالبحث في الوسائل الكفيلة بتنمية اللغة العربية، وجعلها مسايرة لما يطرأ على الحياة

1- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص8.

2- المرجع نفسه، ص 23.

العربية من جديد في شتى مناحي العلم والعرفان. واهتم لغويو هذه الفترة بدراسة بعض هذه الوسائل من اشتقاق وتعريب ودخيل وقياس.

كما عكست الأدبيات اللغوية الصادرة في هذه الحقبة انشغال المفكرين والمثقفين والأدباء جميعهم بتنمية اللغة العربية وجعلها مسايرة لمتطلبات الحياة.[1]

يعني ذلك؛ أنّ اللغويين في تلك الفترة كان هدفهم الأسمى والأساسي هو تطوير اللغة العربية وإعادة إحيائها من جديد بسبب الركود والانكماش الذين سببهما الحكم العثماني لها آنذاك.

ومن القضايا التي استثارت النهضويون قضية "المعجم"، أحد الأسس المكينة التي يمكن أن تنطلق منها عملية الإصلاح، فقد حظي بعناية واهتمام كبيرين، من خلال الاهتمام بالجانب الجمالي للغة العربية في محاولة جادة لتخليصها من رواسب عصر الانحطاط والعودة بها إلى سالف عهدها، وهذا يتم عن إدراك عمق لدور اللغة الفاعل في حياة الأمة. ومن اللغويين الذين ركزوا على هذا الجانب: أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني وإبراهيم اليازجي وغيرهم الذين أولوا عناية كبيرة لتنسيق المعجم وترتيب مواده ترتيبا سهلا يسيرا يمكّن الباحث من الوصول إلى المعنى المراد.

وهذا ما نلمسه في عمل فارس الشدياق في "الجاسوس على القاموس" الذي انتقد فيه معاجم التراث ورأى أنّها لم تعد تستجيب لمتطلبات العصر، لأنّ القدماء في نظره «قد صنعوا ونفعوا وأفادوا غير أنهم ألفوا كتبهم على حسب أفهماهم وأذهانهم، وإفهام أهل زمانهم واختصروا وأجازوا، وقد أشاروا ورمزوا وأنّه لا عيب عليهم في ذلك.» وهذا ما يعني ضمنيا ضرورة تغيير طرائق التأليف لاختلاف الزمن واختلاف الافهام ولاختلاف مقتضيات العصر ومتطلباته.[2]

1- مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص10.

2- بتصرف ، حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص 24.

وبالتالي فالهدف وراء تأليف المعاجم؛ هو اتخاذها وسيلة للنهضة العلمية والحضارية التي كانت تطمح إليها الأمة العربية وإعادة نشر مخططاتها القديمة بعد جمعها، وبالتالي إعادة الاعتبار لكل ما هو قديم لكن بحلة جديدة.

ونتيجة لمتطلبات حركة النهضة وما اقتضته من ظروف، اتخذت دراسة اللغة العربية منحى جديدا، حيث قامت مؤسسات علمية جديدة كلفت بالاهتمام بالدراسات اللغوية العربية، ويتعلق هذا الأمر بظهور المجامع اللغوية، الذين رأوا أنه من أفضل وسائل الرقي العاملة على إنهاض البلاد، فأنشأت هذه الأخيرة في كل من سوريا، مصر، الأردن، العراق، وكان ذلك استجابة للظروف السياسية والفكرية والاجتماعية التي ميزت تلك الفترة.

وإلى جانب اهتمام النهضويون بقضايا الترجمة والمعجم، فقد اهتموا أيضا بقضايا تعليم اللغة العربية خصوصا بعد انتشار التعليم على نطاق واسع، مما فرض البحث عن مناهج جديدة تستجيب لحاجات النشء ولتحقيق هذا المسعى انصبت غايتهم إلى تيسير العربية، وقواعد كتابة وعلى استنكار العلل النحوية وزاد من الاهتمام بقضايا التسيير اطلاع بعض اللغويين على طرائق التأليف عند الغربيين، كما هو الحال بالنسبة لرفاعة الطهطاوي في كتابة "التحفة المكتبية" (1868م)، الذي ألّفه بأمر من (علي باشا مبارك) حين تولى نظارة ديوان المدارس وطلب منه تأليف رسالة في النحو سهلة المأخذ لدراسة المدارس الخصوصية والأولية.[1]

يقول حافظ اسماعيلي علوي أنّه قد يكون من الصعب الجزم أنّ بداية التيسير كانت مع رفاعة الطهطاوي، أو أنّها ظاهرة نهضوية، لأنّ البحوث التي تؤّرخ للنحو العربي نلاحظ أنّ الغاية التعليمية كانت من الأسباب الرئيسية لوضع النحو العربي،، خصوصا بعد اعتناق غير العرب الإسلام(...) وقد ظهرت محاولات التيسير من جديد إبّان عصر

1- حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص25.

النهضة نتيجة للأوضاع التي عرفتها مرحلة ما قبل النهضة ثم تتابعت لكل المحاولات إلى يومنا.[1]

2. الحركة الإستشراقية :

إذا كانت الثقافة العربية قد عرفت أوّل ملامح التحديث اللغوي على يد بعض اللغويين النهضويين أمثال (إبراهيم اليازجي) و(رفاعة الطهطاوي) وغيرهم، فإنّ أبواب التحديث لم تفتح على مصراعيها، إلا بعد انتداب مجموعة من المستشرقين الذين ساهموا في مد مجال البحث اللغوي العربي الحديث بجملة من الأفكار اللغوية، حيث ساهمت أعمالهم في الوقوف بكيفية أعمق وأدق على ظروف نشأت الفكر اللغوي العربي الحديث. وملابساته المتعددة، لا أحد يمكنه أن يفكر أنّ المستشرقين دشّنوا مرحلة جديدة من البحث في قضايا لغوية ذات أهمية بالغة بالنسبة للغة العربية، مثل مشكل التطور في جميع مستوياته وأنّ الدرس اللغوي العربي لم يتمكن من تطوير هذه الأبحاث، بل لم يستطع حتى اليوم معالجة هذه القضايا وما يشابهها بشكل يماثل ما قام به هؤلاء المستشرقون من أمثال برجستراشر وفيشر، وفوك، بروكمان وغيرهم.[2]

وإذا تتبعنا تكوين هؤلاء المستشرقين المعرفي ومصادرهم العلمية، نلاحظ أنّهم اطلعوا على المناهج اللغوية الجديدة التي سادت أوروبا خلال القرن التاسع عشر وبداية العشرين، ويتبين بوضوح أنّهم أخذوا بالمنهج التاريخي المقارن.[3]

وركّزت الأبحاث اللغوية الاستشراقية اهتمامها على هذا الجانب (الجانب المقارن)، ووازت بين العربية الفصحى ونظيرتها السامية والعربية وأخواتها من اللهجات العربية القديمة والحديثة. وأبرز مؤلف يمكن ذكره في هذا المجال هو " فيلولوجيا اللغات السامية" لـــ "بروكمان".ونتيجة لتكوينهم الفيلولوجي التاريخي، اهتم المستشرقون بدراسة اللغة العربية ولهجاتها، متتبعين التحليل الدقيق مظاهر التطور الحاصل في بنيتها الصوتية،

1- بتصرف، حافظ اسماعيلي علوي، المرجع نفسه،ص25.

2- مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص 91.

3- المرجع نفسه، ص 92.

الصرفية والاشتقاقية والتركيبية. إذ لاحظ "ولفنسون" تأخر المنهج التاريخي الذي ينهجه جلّ المهتمين بالبحث اللغوي في أوروبا في دراسة اللغة العربية وتاريخها. فجاؤوا بمنهجية أصيلة على جانب كبير من الضبط والدقة، كاشفين بواسطتها عن البنيات اللغوية العربية بكيفية لم يسبق لها مثيل.[1]

ومن قضايا البحث اللغوي الإستشراقي ومناهجه نذكر:

1-2 اللغة العربية ولهجاتها القديمة والحديثة:

حاولت دراسات المستشرقين تحديد الصورة العامة للعربية الفصحى سواء القياس لأخواتها السامية، أو بالنسبة للغة السامية الأم التي لا يعرف عنها شيء وبالنسبة للهجات العربية القديمة والحديثة. لذلك لم تنظر أبحاث المستشرقين للغة العربية على أنّها وحدة عضوية مطلقة تمتد من أقدم النقوش التي عثر عليها والقريبة من العربية من حيث المادة والأسلوب إلى العربية اليوم. فالعربية المعروفة لدينا بالمعاصرة أو الحديثة ليست في نظر المستشرقين لغة قائمة الذات وليست اللغة العربية أيضا موحدة بين جميع القبائل التي استوطنت جزيرة العرب فقد أخذت اللغة العربية البدوية في هذه القرون (القرنين الرابع والخامس ميلاديين) تجمع بين عناصر تلك اللهجات التي أبادتها حتى وجدت لغة جديدة احتفظت بصيغتها القديمة وقبلت بعض التغيير في الاصطلاح والنطق.[2]

ذلك يعني؛ أنّ اللغة العربية الحالية لم تكن قائمة في ذاتها، بل تم تحديدها من خلال قياسها على أخواتها السامية ولم تكن موحدة في جميع القبائل آنذاك، فلكل قبيلة لهجة خاصة بها، وقد بدأ انتقاء المفردات من هذه اللهجات فتولدت عن ذلك لغة جديدة قبلت التغيير واحتفظت بالقديم.

ويقترن كلام المستشرقين عن العربية كلغة القرآن وأهميته في استمرارية اللّغة العربيّة التي انتشرت عن طريق القرآن الكريم انتشارا واسعا فهي لكلّ المسلمين اللّغة الوحيدة الجائزة في العبادة. وأصبحت هي اللّغة الأدبية المشتركة التي لها المكانة وحدها

1مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص93.

2المرجع نفسه، ص 95.

في معظم اللّغات، لذلك يعطي البحث اللغوي الإستشراقي أهمية كبيرة للقرآن ولغته باعتباره أصدق مقياس للبحث في لغة العرب في عصر ظهور الإسلام.

وقد انصب اهتمام المستشرقين على القراءات القرآنية باعتبارها وسيلة لتحديد العربية القديمة مما ساهم في بحث نشأة العربية وتطورها موضوعيا. كما يبين برجستراشر لكثير من مظاهر الاختلاف، والتفاوت بين اللهجات العربية في علاقاتها بالقراءات القرآنية من جهة وبالموازنة بينها وبين اللّغة العربيّة الفصحى من جهة ثانية. ويشير"ولفنسون" إلى أهمية الأحاديث النبوية لكونها مادة نثرية تعتبر دراستها أقرب من الواقع اللغوي من دراسة الشعر، فالأحاديث الصحيحة أهم كثيرا أثناء البحث اللغوي من الشعر الجاهلي الصحيح؛ لأنّها من النثر وهو دائما يعطي للباحث اللغوي صورة صحيحة لروح عصره، بخلاف الشعر؛ لأنّه يحتوي على كثير من الصيغ الفنية والعبارات المتكلفة التي تبعده عن تمثيل الحياة العادية الحقة وتنئيه عن الروح السائدة في عصره بغير تكلف.

وكذلك الأمر نفسه بالنسبة للأمثال والحكم العربية؛ لأنها أكثر جدوى وفائدة منهجية في دراسة العربية من الشعر الجاهلي. إذ« يمتاز القديم من الحكم والأمثال عن الشعر الجاهلي في بحث موضوع نشأة العربية، لأنها تحتفظ بصيغتها الأصلية أكثر من أي نوع آخر من الأساليب اللغوية، فلا يدخلها شيء من التغيير والتحوير.» كما أنّ من المستشرقين لم يعترف إلاّ باللغة الشعبية باعتبارها لغة حية وسموا ذلك النوع من العربية بـــ " العربية الوسطى" لتوسطها بين اللّغة الفصحى واللّغة الدارجة.[1]

وبهذا نرى أنّ المستشرقين خلال البحث اللغوي كان انشغالهم متّجها نحو مراحل نشأة وتطور اللغة العربية، انطلاقا من تشكل اللغة العربية الفصحى، والاهتمام بالقرآن الكريم الذي زاد من أهمية اللغة العربية بين لغات العالم، والقراءات القرآنية التي كان لها منهجية في تحديد صورة العربية الفصحى، إضافة إلى اهتمامهم الحديث النبوي الصحيح أكثر من الشعر الجاهلي، واهتموا كذلك بالأمثال، والحكم التي تتميز بالثبات ولا يطرأ عليها أي تغيير، وهذا من أجل تجسيد المنهج التاريخي قي الدراسات اللغوية العربية.

1- مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص 97.

2-2 المعجم:

من أبرز المجالات التي ساهم المستشرقون وتميزت فيها كتاباتهم اللغوية، مجال المعجم العربي. وتعدّ معاجم المستشرقين من أوفى المعاجم من نوعها على النّمط الأوروبي لاستدراكهم ما فات معاجمها القديمة من مفردات جمعوها من أمهات الكتب وإرجاعهم المفردات إلى معانيها الأولى، فأبو حيّان، والمسعودي ،وابن خلدون ،والبيروني ونظائرهم من الكتاب استعملوا ألفاظ في غير معانيها التي وضعت لها أصلا، أو محدثة أو مبتدعة من اللغات المجاورة. فحقّقها المستشرقون وأضافوا إليها من القرآن وأمهات الكتب مما لم يرد ي معاجم العرب، هذا خلا المعاجم التي خصوها باللهجات العربية.[1] (...) ولم يسلك المستشرقون في جمع مواد معاجمهم نهج القدامى من المعجمين العرب الذين حصروا اهتمامهم المعجمي في مفردات فترات معينة من تاريخ اللغة العربية وبتأثير من المنهج التاريخي الذي ساد الدراسات اللغوية في أوروبا، ومنذ بداية القرن التاسع عشر نظر المستشرقون للعربية على أنّها أيضا لغة طبيعية تعرف التطور والتحوّل مثل سائر لغات الأرض فيها ألفاظ تحيا وأخرى تهمل وتموت.

كما كشفت الدراسات اللغوية الاستشراقية أهمية "المعجم التاريخي" وافتقار العربية إليه. إنّ هذا الصنف من المعاجم التي حاول المستشرقون وضعها في اللغة العربية، يسمح بتحديد التطورات التي عرفتها دلالة المفردات ومعانيها عبر العصور.

ومما لا شك فيه أنّ في محاولاتهم الإقتداء بمعجم أكسفورد في الانجليزية.[2]

إنّ المستشرقين حرصوا حرصا شديدا على وضع معجم تاريخي للغة العربية محاولين بذلك تطبيق رؤيتهم التاريخية في دراسة التطورات الحاصلة في اللغة العربية، مما يعكس تشبعهم بآراء المناهج الأوروبية السائدة آنذاك وبخاصة المنهج المقارن والمنهج التاريخي وتطبيقهما على الدرس اللغوي العربي الحديث.

1- بتصرف، مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص 97.

2- المرجع نفسه، ص 98.

3. إرهاصات تشكل الخطاب اللساني العربي الحديث:

3-1 المنهج التاريخي المقارن:

ظهرت ملامح هذا الاتجاه في كتابات بعض النهضويين من أمثال إبراهيم يازجي ورفاعة الطهطاوي وجرجي زيدان...وغيرهم. ألقى اليازجي منذ سنة 1881م محاضرة بعنوان "أصل اللغات السامية"، وقف فيها على حدود الأصل المشترك الذي يجمع العربية والعبرية والآرامية. ويظهر المنهج التاريخي في عمل اليازجي واضحا في تركيزه على تصنيف اللغات بحسب قرابتها ووجود لغة أصل لكل أسرة على حدة.

فكل طائفة من اللغات مهما تبدلت هيئاتها وتعددت فروعها في الظاهر، فالأصل متحقق في كل واحد من تلك الفروع، مستصحب في جميعها على السواء.[1]

مكّن نهد الطهطاوي لأسلوب المقارنة بين لغتين، اللغة العربية والفرنسية من فك طوق العزلة عن اللغة العربية، وإدخالها في حوار مقارن مع لغات أخرى والغاية التي يرومها من ذلك هي محاولة تخليص أفهام بعض معاصريه من الأحكام الموروثة، ومنها القول بأفضلية اللغة العربية عن اللغات الأخرى، وبأعجمية كل اللغات.

وقد برزت تجليات المنهج التاريخي ــ المقارن ــ بشكل أكثر وضوحا عند " جرجي زيدان" في كتابه "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية"، إذ قارن بين العربية والعبرانية ولغات أخرى من جهة الألفاظ، فهو لا يكتفي بالإشارة إلى تشابه اللغات واختلافها، بل يعرض لأسباب ذلك. ويظهر إلمامه بالاتجاه المقارن في عدم اقتصاره على ماهو عام، واهتمامه بالقضايا الجزئية في اللغات لتدعيم أطروحاته، ومن ذلك اهتمامه من أقدم ألفاظ اللغة، كالضمائر والأعداد وأسماء ضروريات الحياة، ولا يخلو فصل من فصول كتاب الفلسفة اللغوية من المقارنة، وخصوصا بين العربية وأخواتها من اللغات السّامية، أو بين السّاميات وفصائل أخرى.[2] وتظهر أهم تجليات الاتجاه التاريخي المقارن عند زيدان بالإشارة إلى القضايا التي ضمها كتابه، وهي خمس:

1- حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص 35.

2- المرجع نفسه، ص 38.

القضية الأولى: أنّ الألفاظ المتقاربة لفظا ومعنى هي تنوعات لفظ واحد.

القضية الثانية: أنّ الألفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها (كحروف الجر والعطف وأحرف الزيادة ونحوها) إنّما هي قضايا الألفاظ ذات معنى في نفسها.

القضية الثالثة: أنّ الألفاظ المانعة الدّالة على معنى في نفسها يورد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية أحادية المقطع تحاكي أصواتا طبيعية.

القضية الرابعة: أنّ جميع الألفاظ المطلقة كالضمائر وأسماء الإشارة ونحوها قابلة الرّد بالاستقراء إلى لفظ واحد، أو بضعة ألفاظ.

القضية الخامسة: إنّ ما يستعمل للدالة المعنوية للألفاظ وضع أصلا للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه الصور الذهنية.

ومعنى ذلك أنّ لغتنا مؤلفة أصلا من أصول قليلة أحادية المقطع، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية وبعضها عن الأصوات الطبيعية التي ينطق بها الإنسان غريزيا.[1]

2-3 الاتجاه الوصفي:

لقد تعزز الفكر العربي بظهور الاتجاه الوصفي الذي شق طريقه نحو الثقافة العربية، بعدما شرع العديد من أفراد البعثات الطلابية إلى الجامعات الأوروبية في العودة إلى أوطانهم، وقد كان من بين العائدين من تخصصوا في اللسانيات أو في أحد فروعها، تصدى هؤلاء للتدريس والبحث اللغوي في الجامعات المصرية التي كانت بذلك منطلقا لبلورة الاتجاه الوصفي، بعدما كانت مهد المنهج التاريخي ــ المقارن من قبل.

وفي سنة 1941 شهدت أول محاولة تأليف في مجال الدراسات اللغوية الحديثة ممثلة بكتاب علي عبد الواحد وافي "علم اللغة". وعلى الرغم من كون هذا الكتاب تعليميا يفترض فيه بسط الاتجاهات اللغوية على اختلافها وتباينها، فإنّ صاحبه استلهم كمعاصريه المنهج التاريخي ــ المقارن الذي كرّسه المستشرقون في الجامعة المصرية هذا ما تكشف عنه القراءة المتأنية لكتاب (علي عبد الواحد وافي) لمصادره. التي تنمّ عن تأثر واضح

1- مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص 36.

ببعض قواعد المنهج الوصفي والتمييز بينه وبين المنهج المقارن، واعتماده المستويين الصوتي والدلالي في تقسيم مستويات البحث اللغوي لكنّه رغم ذلك لم يهتد إلى الفروق الدقيقة ين المنهجين.[1] وظلت الدراسات مقتصرة فقط على المنهج المقارن، إلى أن جاء (إبراهيم أنيس) فساد هذا الاتجاه الوصفي وترسخ في الثقافة العربية بفضل جهوده والتي عرفت أبرز تجلياتها في جهود تلامذته. وجهود العائدين الجدد من المدرسة نفسها التي تخرج منها وكان من أبرز هؤلاء عبد الرحمن أيوب، تمام حسان وكمال بشير، ومحمود السعران...

وقد سارت هذه الاتجاهات في تيارات ثلاثة واضحة صاحبت تقديم النظرة اللغوية وهي:

1. الوصفية ونقد التراث العربي.
2. التحليل البنيوي للغة.
3. تطبيق النظرية الحديثة على اللغة العربية.

أولى الوصفيون اهتماما خاصا بالتراث اللغوي العربي، وهو اهتمام كانت له أسبابه الواضحة من أهمها: الوقوف على جوانب النقص التي تخللت أعمال النحاة.[2]

نخلص في الأخير وبناءا على ما تقدم أنّ انفتاح الثقافة العربية على الدرس اللساني قد مرّ بمرحلة عصر النهضة، مرورا بالمرحلة الاستشراقية وصولا إلى العصر الحديث بمجموعة في التجارب اللغوية مختلفة المشارب صالحة للتغيير، إلا أنّها بقيت متشبّثة بالتراث اللغوي العربي على الرغم من ظهور مفكرين حداثيين بذلوا جهودا من أجل التغيير، لكنّ الثقافة العربية ظلّت وفيّة لتراثها اللغوي، ومنشدة إليه ونتيجة لذلك بقيت الأبحاث اللسانية الغربية غريبة على ثقافتنا. لأنّ بعض المتخصصين في اللغة العربية نظروا إلى هذا العلم نظرة شك خوفا منهم من اندثار لغتهم عند تطبيق هذا الدرس اللساني

1-حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص 43.

2- المرجع نفسه، ص 44.

عليها، وعلى غرار هذا وجدت دعوات تجهر بالتحديث في الثقافة العربية حيث وجدت ظروف مواتية هيأت الأرضية المناسبة لنجاح تلقي اللسانيات.

بلغت هذه المرحلة أشواطا هامة نحو الضبط والدقة تمثلت في:

أ. تنامي إرسال البعثات الطلابية للجامعات الغربية، مما أتاح التعرف إلى مبادئ اللسانيات وفروعها بشكل أدق.

ب. القيام بدراسات جامعية وأطروحات من قبل طلاب عرب في جامعة أوروبا وأمريكا بالخصوص، وتناولت وصف الواقع اللغوي العربي من وجهة نظر مختلف المدارس اللسانية الغربية.

ج. إنشاء كراسي خاصة بعلم اللغة كما هو الشأن في الجامعات المصرية، وقد تم تدريس علم اللغة في جامعات عربية أخرى.

د. ظهور كتابات لغوية تعرف بعلم اللغة الحديث ومبادئه العامة.[1]

ه. ظهور ترجمة عربية لبعض المقالات اللسانية وتلاها عدد ضئيل من التراجم العربية لأهم المؤلفات الغربية المتعلقة بالألسنة العامة.

و. تنظيم ندوات ولقاءات علمية محلية وجهوية ودولية في مجال اللسانيات. كان للسانيي تونس والمغرب دور بارز في تنظيم مثل هذه الندوات.

ز. إنشاء تخصصات قائمة الذات في اللسانيات العامة بكليات الآداب بالجامعات العربية لا سيما في تونس والمغرب اللذين يتميزان عن غيرهما من دول العالم العربي في هذا المجال.[2]

إنّ المتتبع لهذه النشاطات اللسانية من خلال الندوات واللقاءات العلمية يجد بأن البحث اللساني برز بشكل واضح وجليل في البحث العربي، لكن الملاحظ في الواقع مخالف تماما لكل التوقعات، فاللسانيات قد ظلت في ثقافتنا منحصرة في إشكالات كثيرة، مما سبب لدى

1- حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص 51 ــ 52.

2- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للنشر والتوزيع، دمشق، 1980، ص 380.

المتلقي غموضا وصعوبة في دراسة والتعرف على هذا العلم ومواكبة الغرب فيه وفي القضايا التي يتناولها.

وهذا ما دفع بالمؤلفين إلى تأليف عدد كبير من الكتب، قصد التسهيل والتيسير في فهم اللسانيات كعلم غربي، وتمكين الدارسين العرب من دراسته والوقوف على جوانبه والبحث في قضاياه بطريقة واضحة ويسيرة، فتنتج عن هذا طريقة جديدة في التأليف تعرف "بالكتابة اللسانية التمهيدية"، فهل نجحت هذه الكتابة في تقريب اللسانيات إلى القارئ؟.

المطلب ثاني: اللسانيات التمهيدية:

1- تعريف اللسانيات التمهيدية:

الكتابة التمهيدية أو التيسيرية طريقة في التأليف، لا يمكن لأي علم أن يذيع أو ينتشر بدونها، لذلك من الطبيعي أن يشكل هذا النّوع من التأليف أحد الاهتمامات الأساسية لنشر العلوم وتقريبها إلى القراء.

وتشكل الغاية التعليمية الهدف الذي تروم إلى تحقيقه اللسانيات التمهيدية، وهذا يستوجب أن يكون كلّ مؤلف من المؤلفات اللسانيّة التمهيديّة بنية خطابية متكاملة علميا ومنهجيا بدءا بعنوان الكتاب، مرورا بمقدمته وعناوين أقسامه وأبوابه وفصوله وصولا إلى خاتمته. وقد أولت المناهج الحديثة والمعاصرة في نظريات القراءة، وسميائيات النّص وجماليات التلقي أهمية كبيرة لعنوان النص وجماليات التلقي، أهمية كبيرة لعنوان النّص ومقدمته، واعتبارهما مكونين أساسين ودّالين؛ فقد جعلهما (جيرالد جينيت) من النصوص الموازية الدالة التي ترافق النصوص الرئيسية، والتي لا يمكن الاستغناء والتغاضي عنها، وتكمن أهمية هذين المكونين (العنوان، المقدمة) في كونهما أوّل المؤشرات التي تتحاور مع المتلقي، فتثير فيه نوعا من الإغراء والفضول العلمي والمعرفي وإليهما توكل مهمة نجاح الكتاب بإثارة استجابة القارئ بالإقبال عليه وتداوله أو النفور منه أو استهجانه.[1]

1- حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص 99.

فالكتابة اللسانية التمهيدية انطلقت من فكرة التمهيد للشيء، والسّير بالتدرج والتبسيط والشرح، فقد ظهرت في مرحلة حرجة شهدت نوع من الخلط والتعقيد، اعنت بالمنهج التعليمي قصد تيسير وتبسيط المعرفة اللسانية وتقريبها من القارئ العربي، وإدخاله إلى صميم المنهجية اللسانية وتمكينه من البحث والتعامل مع المفاهيم والأفكار اللسانية الوافدة بطريقة سهلة، ومنحه بذلك تأشيرة الدخول إلى عالم اللسانيات، إضافة إلى إغناء المكتبة اللسانية العربية ووصل القارئ المبتدئ بما استجد في أوروبا وأمريكا من أبحاث لسانية جديرة بالاهتمام والمتابعة وهذا ما تعكسه بعض عناوين هذه الكتب وخطاب مقدماتها.

2- أهم المؤلفات في اللسانيات التمهيدية:

لقد كثر التأليف في هذا النوع من الكتابة في الوطن العربي ومن أهم هذه الكتب نذكر ما يلي:

- علم اللغة، لعلي عبد الواحد وافي.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران.
- في علم اللغة العام، لعبد الصبور شاهين.
- اللسانيات التوليدية التحويلية، لعادل فاخوري.
- الألسنيّة علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، لميشال زكريا.
- اللسانيّات الوظيفية مدخل نظري، لأحمد المتوكل.
- اللسانيّات العامة واللسانيات العربية، لعبد العزيز حليلي.
- مدخل إلى علم اللغة، لمحمود فهمي حجازي.
- مدخل للسانيات سوسير، لمبارك حنون.
- مدخل إلى علم اللغة، لمحمد علي الخولي.
- مدخل في اللسانيات، لصالح الكشّو.
- مبادئ اللسانيات، لأحمد محمد قدور.
- مبادئ اللسانيات البنيوية، لـــ الطيب دبه.
- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب إبراهيمي.
- مقدمة في اللسانيات، لعاطف فضل.

- مقدمة في علم اللغة، البدراوي زهران.
- مقدمة في اللسانيات، عيسى برهومة.
- توطئة لدراسة علم اللغة، تهامي الراجي.
- دروس في السميائيات، مبارك حنون.
- مدارس علم اللغات، للمعتمدين رشد ومحمد خريص.

الفصل الثاني

قراءة في كتاب "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"
لمحمود السعران

أولا: التعريف بالدكتور محمود السعران.

محمود حسن عطية السعران، واحد من العلماء الذين أوقفوا حياتهم على دراسة اللغة، ونشر المعرفة الموضوعية، ولد في مايو 1922م، وتحصل على درجة ليسانس الممتازة من جامعة الإسكندرية سنة 1943م، وفي سنة 1947 تحصل عل درجة الماجستير في الأدب، من قسم اللغة العربية كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وفي سنة 1951 تحصل على الدكتوراه في اللسانيات، من جامعة لندن ببحث عنوانه " دراسة نقدية للملاحظات الصوتية للنحاة العرب" وهو من آثار الدكتور التي لم تنشر بعد. وقد تدرج في وظائف أعضاء هيئة التدريس لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، حتى توفي في 21 ديسمبر 1963 بالإسكندرية تاركا، من الأعمال العلمية المنشورة وغير المنشورة.

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، الإسكندرية.
- اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، دار المعارف، الإسكندرية.
- بحث اصطلاح الكتابة العربية.
- بحث في علم الأصوات.

كما ساهم في إثراء المكتبة العربية بترجمة العديد من المؤلفات مثل:

- الاتجاهات في علم اللغة للمؤلف (سومرفيل).
- كتاب الشعر الإنجليزي الحديث من حيث الشكل، (هاربرت رايد).
- مقدمة ديوان طرفة بن العبد للمستشرق (ماكس سليفون).
- مقدمة ديوان عبيد بن الأبرص للمستشرق (شارلس لاسل).
- مقال عن دراسة الشعر، (ماتيوز أرنولد).
- بحث لغة الحيوان واللغة الإنسانية (بنفينست).[1]

1- مراد شرفي، قراءة بيليوغرافية في كتاب "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" للدكتور محمود السعران، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، المجلد 4، العدد: 7 جانفي 2021، ص 683 ــ 684.

ثانيا: وصف الكتاب

أصدر هذا الكتاب في سنة 1962 عن دار المعارف بالإسكندرية، يضم بين دفتيه (435) صفحة تضمنت مقدمة، تمهيد وخمسة أبواب.

جاء التمهيد بعنوان "تحف وعلم اللغة"، وهو عنوان يدل على وجود علاقة بين العرب وعلم اللغة، يبدأ من الصفحة (11) إلى الصفحة (43) يتضمن ثلاثة عناصر وهي:

- دراسة اللغة علم، علم اللغة في الشرق العربي، صعوبات في الطريق؛ حيث يرى المؤلف في العنصر الأول أنّ تغير دراسة اللغة من حيث طبيعتها ووظيفتها كانت بسبب ظهور النهضة الفكرية والعلمية التي عرفتها أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، وقد أحدث ذلك التغيير جهودا بذلها علماء الغرب لدراسة معظم لغات العالم، متبعين في ذلك المنهج الوصفي والتاريخي والمقارن، فنتج عنها نظريات عامة في اللغة وأصبحت دراسة اللغة علما قائما بذاته له موضوعه ومنهجه ووسائله، فاللسانيات علم لا يزال يتطور يسعى إلى التجديد وتبسيط اللغة وتوسيع مجال الدراسة اللغوية.
- وجاء في العنصر الثاني بعنوان "علم اللغة في الشرق العربي"، فقد أشار إلى أنّ هذه الدراسة لا تزال غريبة في البلاد الناطقة بالعربية، وأنّ المتخصصين في المسائل اللغوية قد يفهمون من دراسة اللغة، دراسة النحو، والصرف، والاشتقاق ومعرفة الشوارد النادرة...إلى غير ذلك. فعلم اللغة الحديث هو منهاج جديد في فهم اللغة ودراستها، إلا أنّ جمهور المشتغلين بالدراسات اللغوية عندنا أغلبهم يرفض النظر في هذا العلم الجديد، فهذه الدراسات لا تزال تدور حول محور قديم، وأضاف أنّ فهم المتكلمين بالعربية وجمهرة دارسيها منّا لطبيعة اللغة ووظيفتها وطرائق دراستها فهم جد متخلف ومعظم انتاجاتنا في الميادين اللغوية قاصر ومقصر. وقد ذكر أنّ هناك محاولات قليلة مشكورة في مطلع نهضتنا الحديثة ترمي إلى وصل دارسي العربية بالدراسة اللغوية الحديثة، ثم يقوم بعد ذلك بتوضيح أنّ هذه الدراسات كانت العناية بتدريسها في الجامعات العربية ضئيلة جدا.

• وحمل العنصر الأخير " صعوبات في الطريق"، أشار فيه الكاتب إلى الصعوبات التي ستواجه القارئ العربي عند تلقي هذا العلم، فأول ما يجابه الباحث العربي في هذا السبيل من الصعوبات هو في وضع أو ترجمة مصطلح هذا العلم بالعربية، فهو علم يتضمن تصورات لم تضم في أذهان لغوي العرب وقد لا يصلح التعبير عنها بمصطلحات عربية، فترجم المصطلح الأوروبي بلفظ معين مرة، ثم ترجم المصطلح نفسه مرة أحرى وفي نفس الكتاب بلفظ آخر، ولقد تعددت تسمية هذا العلم بعدة مسميات واختلفت باختلاف الدول العربية فمنهم من ترجمه ب "علم اللغة"، علم اللغة العام، علم اللغة المقارن ومنهم من ترجمه بـــــ الألسنيّة، اللّسنيات، اللسانيّات.

ومن الصعوبات أيضا أنه قد يرد في نص واحد مصطلح عربي مراد به المعنى القديم ونفس المصطلح مراد به المعنى الحديث، فيحدث للقارئ نوع من الخلط ولا يتبين له المقصود من الكلام.

تضمن الكتاب خمسة أبواب تنوعت مواضعها بين علم اللغة (اللسانيات) ومستويات التحليل اللساني (الصوت، النحو، الدلالة) وكذا تاريخ الدراسات اللغوية.

الباب الأول:

جاء الباب الأول بعنوان: "علم اللغة موضوعه وماهيته" يبدأ من الصفحة (47) إلى الصفحة (82) وخصّه للتعريف بعلم اللغة مؤكدا أنّ "علم اللغة" هو العلم الذي يتخذ "اللغة" موضوعا له كما ذهب في ذلك (فردناند دي دسوسير) «موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجا ذاتها".[1]

وذلك أنّ علم اللغة لا يدرس لغة معينة من اللغات، بل يدرس اللغة من حيث هي وظيفة إنسانية عامة فهو يدرسها كما هي، كما تظهر وليس على الباحث أن يغير في طبيعتها، ويدرسها لغرض الدراسة نفسها، دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن

1- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1962، ص 491.

حقيقتها. ثم ينتقل للحديث عن نشأة اللغة، حيث يرى أنّه موضوع شائك يتصل بنشأة الإنسان وبأطوار الحياة الاجتماعية التي مرّ بها، وبالحاجات والدوافع التي يحتمل أن تكون قد ألجأته إلى اصطناع هذا النظام وهو " اللغة". لينتقل بعدها إلى الأصل في اللغة أن يكون كلاما إما مشافهة، وإما كتابة، والكتابة هي اختراع إنساني تتمثل في الحروف، ثم أشار إلى أنّ الكلام وظيفة إنسانية "غير غريزية"، فهو «وظيفة مكتسبة» وظيفة ثقافية وهذا من خلال ما ذهب إليه (إدوارد سابيير) الذي حاول أن يكشف عن طبيعة اللغة وتقريبها إلى الأفهام. مبينا أنّ الكلام نشاط فردي متغير، فالإنسان يكتسب خلال مراحل حياته معارف شتى تؤهله لزيادة وتنوع معارفه وثروته اللفظية، بعد أن أشار محمود السعران إلى أنّ اللغة نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالات الاصطلاحية فعلم اللغة جزء من السيميولوجيا (علم العلامات)، فاللغة من حيث أنها مجموعة من العلامات هي أصوات تؤلف بطرائق اصطلاحية في الكلمات ومن الممكن أن يقابل كل حاسة من الحواس الإنسانية نظام من هذه العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة وتكون سمعية، وبصرية، ولمسية...إلى غير ذلك. بعدها ينتقل إلى علاقة هذا العلم بالعلوم الأخرى، فهو يستعين بعلم الاجتماع العام، علم الأجناس البشرية، علم الوراثة، علم الحياة العام، علم وظائف الأعضاء، علم التشريح، أمراض الكلام، التاريخ، والجغرافيا.

الباب الثاني:

يبدأ من الصفحة (87) إلى الصفحة (199) عنوانه: " علم الأصوات اللغوية"، عرض فيه الكاتب لمحة تاريخية عن بعض الملاحظات القديمة عن أصوات اللغات عند الرومان والهنود والعرب في كتاباتهم وتصنيف الأصوات إلى "صامتة" و"صائنة"، وحسب موضع النطق، ثم انتقل إلى التعريف بعلم الأصوات اللغوية في صورته الحاضرة وأنّ موضوعه هو "الصوت الإنساني الحي"، إذ هو نموذج متكامل من نماذج السلوك الاجتماعي، وقد أشار إلى أنّ جهاز النطق الإنساني أكمل آلة موسيقية من حيث المرونة والقدرة على

إخراج أنواع من الأصوات لا حدّ لها، وأنّ هذا العلمي يستعين في بعض جوانب دراسته بمعلومات يستمدها من علوم أخرى خصوصا في وصف جهاز النطق كعلم التشريح وغيرها، بعدها انتقل إلى الدراسة الصوتية الآلية والوسائل التي يلجأ إليها علم الأصوات اللغوية وطرق استخدامها، وذكر بعض الأمثلة عنها، مثل استخدام مرآة صغير تسمى "مجهر الحنجرة"، وآلة أخرى لإثبات الجهر (تسوند، بيرجيت) وآلات تسجيل الأصوات ونماذج وخرائط أعضاء النطق... وغيرها. إضافة إلى استعانته نظام خاص من الرموز الكتابية تسمى "الكتابة الصوتية" الهدف منها هو تسجيل الأصوات الكلامية تسجيلا كتابيا لا غموض فيه، لينتقل بعدها إلى حاجتنا إلى علم الأصوات اللغوية وما يمكن أن يؤديه من خدمات، إذ لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما أو لهجة ما ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها وأنظمتها الصوتية؛ لأنّ الكلام هو سلسلة من الأصوات، فهو يخدم الدراسة اللغوية التاريخية) والدراسة اللغوية (المقارنة) ولا يكتفي فقط بدراستها في فترة معينة من تاريخها، ثم إنه يقدم عونا كبيرا في إيجاده نطق اللغة الأصلية وتعلم اللغات الأجنبية، كما أنّه يساعد على وضع الأبجديات والتأليف المعجمي، كما بيّن لأنّ الدراسة الصوتية جزء من دراسة المعنى، وتطرق (محمود السعران) إلى علم الأصوات الوظيفي وتحليله للأصوات والكلمات وتحديد المميزات الصوتية في لغة من اللغات حيث أصبح الآن ما يعرف ب" الفونولوجيا" وقد أعطى مفهوما للفونيم وتعدد نظرياته مقدما في ذلك أمثلة عربية، وذكر الاختلاف الموجود بين الأصوات المشابهة كالسين والزاي... وغير ذلك، ليبيّن بعدها أن التحليل الوظيفي مكمل لتحليل الفيزيائي والفيسيولوجي للأصوات والكلمات.

الباب الثالث:

يبدأ من الصفحة (205) إلى الصفحة (256) تعرض فيه إلى: "المستوى النحوي" من اللغة. بدأ الحديث في هذا الباب على أننا نفكر بجمل ليتم التفاهم الإنساني فاللغة تعرض

"المعاني" بطرق خاصة، ونحن نتلقى تلك المعاني الترتيب الذي يقدمه الكلام إلينا، في صوره وأشكاله اللفظية، وأشار إلى لغويو العرب يدرسون "نحو" معظم اللغات تحت موضوعين أساسين هو "المورفولوجيا" و"النظم" مبينا بعدها أنهم قد اختلفوا في هذا التقسيم وتحديد مجال كل قسم لينتقل بعدها من التحليل الفونولوجي إلى التحليل النحوي، فكلا من هذين تحليل (شكلي)، وأن في دراسة أية لغة من اللغات يتم التحليل المورفولوجي قبل التحليل النحوي، وأعطى تفريقا بينهما، "فالفونيم" و"المقطع" هما العنصران اللّذان يدرسهما النحو، وأنّ النّحو يمكن فصله عن المادة الصوتية، أمّا الفونولوجيا فهو بالضرورة مرتبط عن طريق الأصوات اللغوية بالمادة الصوتية، لينتقل بعدها إلى النّحو الوصفي بشقيه المورفولوجي والتركيبي (النظم)؛ فالأول قسم فيه المورفيم إلى ثلاث أقسام رئيسية فالأول وهو الأغلب أن يكون (المورفيم) عنصرا صوتيا قد يكون صوتا واحدا أو مقطعا، أو عدة مقاطع، والثاني أن يكون من طبيعة العناصر الصوتية المعبرة عن المعنى، أو التصور أو الماهية، والقسم الثالث وهو الموضع الذي يحتله في الجملة، أمّا النظم أو "التنظيم" فيأتي بعد هذا التقسيم للكلمات والمورفيمات فنظم الكلمات يعني ترتيب الكلمات في جمل هدفها تحديد القواعد المـــألوفة في ترتيب الأقسام الشكلية، وقد بين أن للنظم علاقة وثيقة بالمورفولوجيا وذلك لأن تركيباتها في لغة من اللغات تحكمها عادة ترتيبات نظمية ــ بعدها تناول النحو المقارن والدراسة المقارنة ــ وتأتي بعد الدراسة الوصفية والتاريخية ويبين أن المنهج المقارن يطبق على مجموعة اللغات المنتسبة إلى أصل واحد فهو يهيئ السبيل لتصنيف هذه اللغات حسب خصائصها؛ يحدد الأشكال القديمة والأصوات التي احتفظت بها لغة ما، وأشار إلى أنّه يعتمد إلى حد كبير على النظم في الكلمات ذوات المعاني المتطابقة أو المتقاربة، ويستبعد الكلمات المستعارة من لغة أخرى، ليختم بعدها القصور الموجود في المنهج المقارن عندما يدرس اللغوي مجموعة كبيرة جدا من اللغات المتقاربة، لكن ليس لهذه اللغات أشكال قديمة مخطوطة.

الباب الرابع:

يبدأ من الصفحة (262) إلى الصفحة (312) تحت عنوان: "علم الدلالة" أو دراسة المعنى، تناول فيه الخلط والإساءة في مشكلة المعنى، أو قصور المعنى القاموسي، يبين فيه (محمود السعران) أنّ هذا التصور خاطئ لأنّ المعنى المعجمي أو القاموسي ليس كل شيء في إدراك المعنى فهناك عناصر غير لغوية لها دخل كبير في تحديد هذا المعنى كشخصية المتكلم وشخصية المخاطب وما بينهما من علاقات، إضافة إلى النّبر والتنغيم والارتكاز لينتقل بعدها إلى عملية تحصيل المعنى خصوصا عند الطفل بكثرة التكرار والتقليد؛ فأوّل ما يحصله الطفل معاني المحسوسات لا سيما معاني الكلمات التي تدل على أعضاء الجسم الإنساني وعلى الأدوات المستعملة وذلك في فترة زمنية من عمره، ثم ينتقل إلى فكرة أخرى وهي كيفية توصيل الكلام أو المضمون المنطقي والمضمون النفسي وأشار فيه إلى أن لكل كلمة من الكلمات مضمونا منطقيا وآخر نفسيا فالأول (المنطقي) هو المعنى الذي ينصّ عليه القاموس في الأغلب يكون فهمه مشترك، والثاني (النّفسي) يختلف من متكلم لمتكلم اختلافا كبيرا ولا يمنع هذا أن يشترك جمهور المتكلمين باللغة في طائفة كبيرة من إيحاءاته ومما يرتبط من ظلال المعاني."[1]

ثم يشير إلى أنّنا لا نستعمل الكلمة بمعناها المنطقي مفصولا عن المضمون النفسي. انتقل بعدها إلى نقطة أخرى وهي تغير المعنى فيقول: "يحدث التطور الدلالي تدريجيا في أغلب الأحوال ولكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغير كبير في المعنى وإن تغيرات المعنى غالبا ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعي، وإن هذا الميول الاجتماعي أوضح في حالة (التغير الدلالي) منها في حالة (التغير الصوتي)."[2] وهذا يعني ان التغيير الدلالي يحدث أكثر من التغير الصوتي، ثم قسم التغير الدلالي إلى ثلاثة أنواع:

1- محمود السعران، المرجع السابق، ص 278.

2- المرجع نفسه، ص 280.

التغير الإنحطاطي، التغير المتسامي، التغير نحو التخصص والأخير" التغير نحو التعميم وأضاف آخر وهو التحول نحو المعاني المضادة؛ بعدها انتقل إلى مناهج دراسة المعنى وبدأ الحديث عن نشأة علم الدلالة وكان على يد " ميشال بريال" ثم دراسة المعنى بعده عند اللغويين؛ فقد أخذوا يبحثون عن الدوافع التي قد تكون من شأنها أن تؤدي إلى تغير معنى الكلمات، ثم أشار إلى كتابات غير اللغويين في هذا الأمر أمثال (أوجده) و(ريتشاردز) في كتابهما "المعنى المعنى"، بعد ذلك جهود (بردجمان) من خلال كتابه "منطق الفيزياء الحديثة" و(ستيوارت تشيز) في كتابه " طغوى الألفاظ" ثم قدم (محمود السعران) نظريات اللغويين في علم الدلالة منطلقا من المدرسة الاجتماعية السويسرية على يد (فردناند دي سويسر)، بعدها المدرسة السلوكية الأمريكية (بلومفيد) تليها المدرسة الاجتماعية الإنجليزية (فيرث)، وقد خصّ الحديث عن هذه المدارس وهذا خدمة للقارئ العربي؛ إذ كان لا بد من معرفته لها.

الباب الخامس:

يبدأ من الصفحة (317) إلى الصفحة (348) موسوما بعنوان: "تاريخ الدراسات اللغوية" وخصّه للدراسات اللغوية في العصور القديمة وأشار إلى أنّ اختراع الكتابة نوعا هاما من أنواع النظر في اللغة كتمثيل الكلمات الملفوظة برموز كتابية ينطوي على إدراك ماهية المقطع، كما أظهرت الفرق بين لغة جيل ما ولغة الأجيال السابقة لها أو بين اللغات، وعرض جهود الهنود في هذا المجال في وصفهم الدقيق للغة السنسكريتية، إذ أنّه لا يعتمد على المنطق بالإضافة إلى جهود اليونان الذين بحثوا عن ماهية اللغة وأصلها، وطبيعة العلاقة بين الكلمة والشيء الذي ترمز إليه لينتقل بعدها إلى الدراسة اللغوية في العصور الوسطى وعصر النهضة، حيث قسمه إلى ثلاثة أقسام؛ خصص القسم الأول للدراسات اللغوية عند الغرب في العصور الوسطى إذ أن علماء هذا العصر لم يقدموا إضافات جديدة بل ظلوا متأثرين اليونان وتصورات اللغوية القائمة على أساس المنطق،

والثاني ارتبط بالدراسات اللغوية عند العرب وبين أن دراستهم ارتبطت بالقرآن الكريم واللغة العربية وهذا صونا منهم لكتاب الله عز وجل من التحريف وتقييد الحروف الكتابية "بالشكل" وقدم نظرة عامة على الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية عند العرب، ثم يشير إلى اتساع أفق الدراسات اللغوية في أوروبا في عصر النهضة وما يليه نتيجة عوامل متعددة كحركة الإحياء للتراث اليوناني والروماني وما تبعهما. ثم انتقل إلى عنصر آخر تمثل في الدراسات اللغوية في القرنين الثامن والتاسع عشر وذلك من خلال جهود بعض العلماء أمثال (فريدريك أوجست وولف) الذي ابتدع سنة 1777 النقد المقارن للنصوص القديمة غايته إعادة بناء النصوص الأصلية وتفسيرها، وكانت دراسته قائمة على النصوص المكتوبة في حين الملفوظة فلم يكن لها دخل في دراسته؛ إضافة إلى جهود (وليام جونز) الذي اكتشف صلة القرابة بين اللغة السنسكريتية واليونانية واللاتينية. أما القرن التاسع عشر فقد ارتكز على دراسة اللغات الهند أوروبية واللغات الرومانية وظهر علم اللغة الحديث في الظهور في الصورة (نحو تاريخي مقارن) واستمر زمانا على هذه الصورة، كما ظهرت النزعة التطورية (داروين) وما كان لها من تأثير على طبيعة الدراسة اللغوية، وأنهى المؤلف الحديث عن طبيعة هذه الدراسة في القرن العشرين؛ فقد أخذ علماء هذا القرن ينظرون إلى اللغة على أنّها بنية أو نظام من عناصر مختلفة يعتمد بعضها على بعض، وأنه نظام مهم في فهم كل من التغير اللغوي والدور الذي تقوم به اللغة في المجتمع، ثم بين جهود (فرناند دي سويسر) من خلال محاضراته التي نشرها تلامذته " محاضرات في اللسانيات العامة" عن أهمية الفصل بين اللغة من حيث هي نظام مستقر وبين اللغة من حيث هي تغير لغوي، مشيرا في ذلك إلى تأثر (سويسر) ب (دوركايم) مؤسس علم الاجتماع.

وقد ختم كتابه بوضع معجم للمصطلحات العربية وما يقابلها بالإنجليزية ويبدأ من الصفحة (353) إلى الصفحة (380) تليه قائمة المراجع التي قسمها إلى مراجع عربية وأخرى أجنبية.

ثالثا: دراسة تحليلية لكتاب محمود السعران "في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"

1- قراءة في عنوان الكتاب:

1-1 العنوان رأس العتبات:

يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النص واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية[1]، فلا ولوج إلى الكتاب أو النص إلا من خلاله إذ يلقي بظلال سلطته على القارئ لأنه يفرض نفسه عليه لأجل استئذانه في الدخول إلى عالم الكتاب فالمتلقي سيكون تابعا للمقصدية أو المرجعية التي يحملها العنوان، سواء كانت ذهنية أو فنية أو سياسية أو إيديولوجية.[2]

ومن ناحية أخرى يعتبر كثير من النقاد العنوان نصا مصغرا تقوم بينه وبين النص الكبير ثلاثة أشكال من العلاقات:

1. علاقة سيميائية؛ حيث يكون العنوان علاقة من علاقات العمل.
2. علاقة بنائية؛ حيث تشتبك فيها العلاقات بين العمل وعنوانه على أساس بنائي.
3. علاقة انعكاسية؛ حيث يختزل فيها العمل ــ بناء ودلالة ــ في العنوان بشكل كامل.

إن هذه العلاقات تستجمع في النص في ثوب واحد وتعطيه ديناميكية بنائية تجعل القارئ يستنطق النص ويقترب منه محاولا الكشف عن خباياه من خلال العنوان.

إذ تروم الكتابة اللسانية التمهيدية تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي وتقريبها منه سواء أكان مبتدءا يلج عالم التخصص في اللسانيات أم قارئا ينشد التسلح باللسانيات للاستفادة منها في مجالات

1- جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطباعة والنشر الإلكتروني، المملكة المغربية، ط2، 2020، ص8.

2- منيرة قليل، الكتابة اللسانية التمهيدية وأفق انتظار المتلقي، مجلة الآداب واللغات الإنسانية، المجلد 4، العدد: 7 جانفي 2021، ص 334.

معرفية أخرى. كتحليل النصوص الأدبية أو المناهج النقدية أو تاريخ الفكر الإسلامي، وغيرها.[1]

وبالتالي فالعنوان هو الأداة التي يتحقق بها الاتساق والانسجام بين النص والقارئ إذ له صلة وثيقة بأفق انتظاره وأول خطوة يخطوها القارئ إلى النص هي" العنوان".

2-1 وظائف العناوين:

تعد العناوين منطلقات ضرورية للقراءة بالنظر إلى الوظائف التي تؤديها، والتي يحددها (جيرالد جنيت) في أربع وظائف هي: الأعزاء ــ الإيحاء ــ الوصف ــ التعيين. ونجد من الباحثين من يذهب أبعد من ذلك، حيث يتم الربط بين الوظائف التي يؤديها العنوان ووظائف اللغة كما يحددها (جاكبسون)، فيعطي للعنوان بذلك وظائف أخرى هي: الوظيفة المرجعية (المركزة على الموضوع)، الوظيفة الندائية (المركزة على المرسل إلية)، الوظيفة الشعرية (المركزة على الرسالة)، كما قد تتسع هذه الوظائف لدى (هنري ميتزن) لتشمل الوظيفة التعيينية والوظيفة الإحرضية (حث فضول المرسل إليه ومناداته) وكذا الوظيفة الإيديولوجية، وهي جميعها تصور العنوان بسلطة تروم إلى إخضاع المرسل إليه.[2]

إن العنوان هو البنية المرجعية لكل نص؛ تمارس على المتلقي إكراها أدبيا يسهم بشكل أو آخر في توجيه عملية القراءة. وتحضر الوظائف السابقة في الكتابة اللسانية التمهيدية على النحو الآتي:

أ. الوظيفة التواصلية:

إن الهدف من الوظيفة التواصلية هو تبئير انتباه المتلقي، وربط نوع من التواصل بينه وبين المقروء، إضافة إلى خلق نوع من التواصل بينه وبين المقروء، إضافة إلى خلق

1- الطيب عطاوي، شريف ن دحان، مدى نجاح الكتابة اللسانية التمهيدية في تقريب اللسانيات إلى القارئ العربي، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المجلد 4، العدد 14، أغسطس 2020، ص 164.

2- جميل حمداوي، مرجع سابق، ص106.

نوع من التقارب بينهما؛ لتحريض المتلقي على القراءة وتلقي محاولة تقليص المسافة بينه وبين الكتاب. وهي وظيفة تؤديها وظائف عناوين الكتابة اللسانية التمهيدية.[1]

فمن خلال عنوان كتاب (محمود السعران) "في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" نجد أن العنوان تضمن شطرين؛ فالشطر الأول(في علم اللغة) نلحظ فيه من الوهلة الأولى أنه سيتطرق إلى هذا العلم بشكل معمق ومفصل، من جميع جوانبه وليس بشكل سطحي، أما الشطر الثاني (مقدمة للقارئ العربي) قد خصه للقارئ العربي دون سواه؛ وهذا ما يخلق التقارب والانجذاب بين القارئ والعنوان، إضافة إلى كلمة (مقدمة) عملة على تحرض المتلقي للقراءة والخوض في أغوار الكتاب، لما تحمله من دلالة على البساطة والتيسير. وهذا ما تتسم به عناوين الكتابة اللسانية التمهيدية.

ب. الوظيفة الانفعالية التأثيرية الإغرائية:

وتسمى الوظيفة الإشهارية، وهي ذات طبيعة استهلاكية؛ وذلك لأن قضية الكتاب المطبوع قد تطورت إلى شكل من الاقتصاد الاستهلاكي، إذ أن عنوان مؤلف ما هو الذي يمنح القارئ الفكرة الأولى عنه وهذا الإحساس الأول على قدر ما يكون جذابا مغريا أو مبهرا للذهن والعينين يترك فيه (مدة) أثرا لمدة قد تطول أو تقصره وعلى المؤلف والطابع أن يوحدا الجهود لإحداث توقع مقبول، أحدهما عن طريق التبسيط والاختزال عند وضعه للعنوان عليه أن يعطي فكرة تامة قدر الإمكان عند محتوى المؤلف مصرا مع ذلك على إثارة فضول القارئ، والآخر عن طريق التأليف المدهش للحروف والمهارة في وضع الأسطر، عليه أن يوفر لعين القارئ نظرة منتظمة بلا رتابة.[2]

إضافة إلى أن متلقي الكتابة اللسانية التمهيدية مبتدئ غايته التعرف على مبادئ اللسانيات اعتبارها علما جديدا، لذلك يجب على من يؤلف في مثل هذه الكتابة أن يختار ما يراه مناسبا لجلب القارئ، وإثارة انتباهه وإغرائه بعبارات محبوكة تروم التبسيط

1- حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 103.

2- منيرة قليل، المرجع السابق، ص 337.

والتسهيل والانتفاع لخلق نوع من التفاعل والانسجام بين النص والقارئ، ويتم التركيز على كلمة مفتاح تشكل بؤرة العنوان وهدف الكتاب الأسمى.[1]

فالكلمة المبأرة في كتاب (محمود السعران) هي كلمة (مقدمة) تشير بوضوح تام إلى أن هناك رغبة من قبل الكاتب في التأثير على القارئ، وخلق نوع من التجاوب بينه وبين النص/ الكتاب؛ فالعنوان هو الخطوة الأولى التي يستثير من خلالها الكاتب نفسية المتلقي بهدف جذبه للقراءة بطريقة إغرائية تأثيرية، كما يستدرجه للتعمق في ثنايا الكتاب وهذا ما نجده أيضا في عناوين مؤلفات اللسانيات التمهيدية نحو:

- مدخل إلى علم اللغة.
- توطئة لدراسة علم اللغة.
- مبادئ اللسانيات.

فالكلمات المفتاحية أو المبأرة هنا (مدخل، توطئة، مبادئ) لها وظيفة إغرائية تمارس على المتلقي وهذا لأنه قارئ مبتدئ.

ج. الوظيفة المرجعية / الإحالية:

هدفها تعيين موضوع الكتاب وتحديد غاياته، فتشكل هذه الوظيفة بذلك نوعا من التعاقد بين المؤلف والقارئ، وتؤدي عناوين الكتابة اللسانية التمهيدية بطرائق مختلفة مثل:

- الإحالة على اللسانيات بطريقة عامة:
  - مدخل إلى علم اللغة.
  - توطئة في علم اللغة.
  - مبادئ في اللسانيات.
- الإحالة على مدرسة لسانيات محددة:
  - اللسانيات البنيوية.

1- حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص104.

- اللسانيات الوظيفية.
- اللسانيات التوليدية التحويلية.

- الإحالة على قطاع خاص من قطاع اللسانيات:
  - علم الأصوات.
  - علم الدلالة.
  - السيميائيات.
- الإحالة على فرع داخل قطاع معين:
  - مدخل للصواتة التوليدية.
  - مدخل للسميائيات السردية.
- التعريف بإسهامات علم من أعلام اللسانيات:
  - مدخل للسانيات سوسير.
  - النظرية الأمريكية ي اللغة (تشومسكي).[1]

نلاحظ من خلال هذه الإحالات أنها تقدم لنا اللسانيات بطريقة منظمة ومرتبة تدريجيا من العام إلى الخاص، ويبقى هدفها دائما تحديد موضوع الكتابة والغاية منه.

وبما أن كتاب (محمود السعران) يعتبر من المحاولات الأولى التي قدمت لنا هذا العلم الحديث، قد ارتئ الكاتب إلى أن يدرج كتابه ضمن الإحالة على اللسانيات بطريقة عامة، وهذا رغبة منه في تقديمه للقارئ العربي محيطا بأصوله وبجميع موضوعاته القديمة والحديثة؛ فهو لم يلتزم في عرضه لهذه الأصول والموضوعات على مذهب واحد، بل تعرض للمذاهب المتعددة في الدرس اللغوي، وهذا لحاجة المتلقي إلى الإلمام بجميع مفاهيمه وتصوراته بما أنه علم حديث.

1- حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص 105.

2- قراءة مقدمة الكتاب:

2-1 المقدمة عتبات نصية:

المقدمة هي الصورة المثالية، إذ عليها يترتب نجاح التلقي أو فشله، وإليها توكل مهمة توجيه القراءة وتنظيمها، وبالتالي تهيئ القارئ لاستقبال مشروع قيد الإنجاز سيكون مجاله لا محالة مثنى الكتاب، وهذا يعني المقدمة نوع من التعاقد بين المؤلف والقارئ. وللمقدمة وظيفة إقامة الاتصال التي قام بها (مالينوفسكي) وتبناها (رومان جاكيسون)، حيث اعتبرها من الرسائل التي تؤدي إلى ربط التواصل أو إطالته أو قطعه وبذلك تكون المقدمة بمثابة عتبة أو مدخل أو البهو الذي يلج منه المتلقي إلى دهاليز النص أو الكتاب، ليمسك بخيوطه الأولية والأساسية ليتحاور معه، وهذه الأهمية يعتبرها (جيرالد جنيت) من النصوص الموازية للنصوص الرئيسية وعنصر من عناصر التعالي النصي.[1]

وتمثل الأهداف التعليمية الغاية التي يصبو إليها كل باحث ويظهر هذا جليا من خلال مقدمات المؤلفات اللسانية خاصة إذ وضع بالحسبان أن هذه المقدمات أو العتبات النصية هي أول ما يلفت نظر المتلقي في أول لقاء مع العمل الثقافي أو اللساني أو اللغوي. لهذا كله راهن العديد من المؤلفين على إعطاء الأهمية القصوى لهذا الجانب. وتحاول هذه المقدمات أن تستدرج المتلقي عن طريق الإغراء والتغرير كما هو واضح من خلال هذا القول: «قصدنا دعوة القارئ العربي إلى تذوق هذا الحديث وإلمامه به. من أجل ذلك هو كتاب تمهيدي.»[2]

1- حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص101.

2- منيرة قليل، المرجع السابق، ص 339.

2-2 وظائف المقدمة:

تحصر مجموعة من الوظائف في خطاب مقدمات الكتابة اللسانية التمهيدية نذكر منها:

أ. الوظيفة الانفعالية/ التأثيرية:

تحضر هذه الوظيفة بشكل لافت في مقدمات الكتابة اللسانية التمهيدية بالتركيز على الغاية التعليمية التبسيطية، مع الإشارة إلى أهمية الدرس اللساني ومكانته، فالغاية التعليمية التبسيطية تمثل الهدف الأسمى الذي يستأثر اهتمام كل مؤلف تمهيدي، ومن هذا المنطلق تلح مقدمات اللسانيات التمهيدية على هذا الجانب وتوليه اهتماما كبيرا، خصوصا أن هذه المقدمات هي أول ما يطالع مرأى المتلقي وهمزة وصل للإقبال على الكتاب وفهم الكاتب، فمن الطبيعي أن توحي هذه المقدمات أو تعبر عن ذلك بصريح العبارة منها. وتسعى إلى إغراء المتلقي بعبارات محفزة لاستدراجه إلى كشف ما هو مخبئ بين دفتي هذا الكتاب.[1] كما نقرأ في:

مقدمة كتابنا يقول (محمود السعران): «ولذلك مهدت لكتابي هذا بمقدمة طويلة شيئا ما تهيئة لذهن القارئ الشادي لتلقي أصول هذا العلم بأيسر سبيل وأدنى مجهود.» ويقول: «ولقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط مع حرصي على الدقة والسلامة حتى يستقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ومدارسته، وينتقل منه آمنا إلى مطالعة أصول هذا العلم منقولة إلى العربية أو مكتوبة بلغاتها». ويقول أيضا في موضع آخر: «هذا الكتاب في علم اللغة محاولة أقدمها في هذا السبيل... إنه مقدمة للقارئ العربي.»[2]

تشير هذه المقاطع المقتطفة من مقدمته إلى الوظيفة التعليمية التبسيطية باعتبارها الغاية التي تنشدها هذه الكتابات التمهيدية، إضافة إلى إثارة وإغراء المتلقي فتثير فيه نوع من الفضول العلمي والمعرفي واستدراجه لفحوى الكتاب كما يظهر من خلال هذه

1- منيرة قليل، المرجع السابق، ص 342.

2- محمود السعران، المرجع السابق، ص 6.

العبارات تهيئة لذهن القارئ الشادي...، بأيسر السبل وأدنى مجهود...، تبسيط حقائق هذا العلم، إنه مقدمة للقارئ العربي...)

ب. الوظيفة المرجعية / الإحالية:

يعمد المؤلف إلى تزكية كتابه ونتاجه الفكري بجملة من المصادر والمراجع التي تحفظ مصداقية المعلومات والمعارف الواردة في هذا الكتاب وكسب ثقة هذا المتلقي الذي يؤمن بأهمية هذا المؤلف الذي بين يديه، والمصادر هي كل ما يعتمده الباحث في دراسته، وتحدد هذه المصادر الأبحاث التي انطلق منها الباحث أو استند إليها، للوصول إلى نتائج معينة، ويندرج في هذا السياق إحالات الباحث إلى غيره من الباحثين المنشغلين بنفس القضية أو العاملين معه في نفس الحقل، أو في حقول معرفية أخرى يكون في حاجة إليها.[1]

وبتتبعنا لمصادر الكتابة اللسانية التمهيدية، يمكن أن نميز ين مرجعيتين:

- **مرجعية غربية:** يتم التركيز هنا على مصدر واحد دون سواه، أو على مجموعة من المصادر الغربية ويرجع ذلك إلى طبيعة الكتاب وإلى المواضيع التي يعالجها، فإن كانت هذه المواضيع متنوعة كانت المصادر كذلك؛ أما إذا كان الموضوع يصب في اتجاه واحد فإن المصدر المعتمد يكون واحدا، وإن كانت هذه المسألة لا تحضر الشكل المعياري الدائم.

يشير مؤلفا كتاب (علم اللسانيات الحديث) إلى مصادرها بالقول:« إن الفلسفة والمبادئ التي يقوم عليها هذا الكتاب، والمحاور التي يدور حولها إطاراته النظرية مبنية على الأسس والأفكار والفلسفة التي يقوم عليها المرجع التالي:

R.HRobins, General l'inguistic, An Introduction,Ihrid edition, Newyork, Longman inc 1980 .[2]

1- منيرة قليل، المرجع السابق، ص 343.

2- حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص112.

- **مرجعية مزدوجة:** تظهر ازدواجيتها في جمعها بين ما هو عربي وما هو غربي، بين ما هو تراثي وما هو حديث، وتتعدى ذلك أحيانا بين ما هو عام وما هو خاص، (فأحمد محمد قدور) وهو مؤلف أحد الكتب التمهيدية يشير إلى مصادره بالقول:« أما مصادر هذا الكتاب فهي مجموعة من المصادر الأجنبية المترجمة إلى العربية، وبمجموعة أخرى من مصادر عربية متنوعة منها ما هو منحنى لساني عام متأثر بالدرس الأجنبي، ومنها ما هو ذو منحى لغوي خاص بالعربية وعلومها إضافة إلى جملة من الكتب القديمة والحديثة بما كان مجالا لاستمداد الأفكار الجزئية، أو الأمثلة والشواهد المتعددة، وهناك أيضا مجموعة من الدوريات العربية التي حوت دراسات مهمة، وكتبا أجنبية موضوعة باللغتين الإنجليزية والفرنسية.[1]

فاختلاف المراجع وتنوعها بين غربية وعربية تغني الكتاب التمهيدي وتجعله أكثر قيمة، مما يكسب ثقة القارئ وتجذبه إليه. وهذا ما نلحظه في كتاب (محمود السعران) فقد اعتمد على مرجعية مزدوجة جمع فيه بين المراجع الغربية والمراجع العربية. إذ يقول في مقدمته: «أن أسدي الشكر مخلصا إلى صديقي الدكتور محمد أبو الفرج ... لقاء ما هيأ لي من المراجع والأبحاث اللغوية الحديثة التي عاد بها بعد انتهاء دراسته من لندن، فوصلني بدراسات هادية مسيرة موحية.»[2]

مثال عن المراجع الإنجليزية والفرنسية:

1)Allen,w.s :on The l'inguisticstudy of languages,An inaugural lecture delivered in The university of cambridge on 8,March,1957 cambridge university, press,1957.

2)Arend,Z.M,Baudouin de conrtenay and The phoneme Idea."leMaitrephonetique", january,1934.[3]

أما المراجع العربية فجمع بين ما هو حديث وما هو قديم مثل:

1- حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص114.

2- محمود السعران، المرجع السابق، ص 8.

3- المرجع نفسه، ص 405.

• كتاب إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان القاهرة، 1951.

• كتاب ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد (ولد سنة 512هـ وتوفي 577هـ): أسرار العربية ــ ليدن ــ طبع بريل 1303 هـ ــ 1886م.[1]

ج. الوظيفة الإيديولوجية:

إن الوظائف التي سبق ذكرها تتوحد وتتفاعل فيما بينهما لتعضد وظيفة أساس هي الوظيفة الإيديولوجية؛ وهي الوظيفة الإستراتيجية التي تصب فيها كل قنوات الوظائف الأخرى، وتتركز عليها أهداف الكاتب ومقاصده العامة، فالمؤلف يسعى جاهدا إلى جلب القارئ من خلال التأثير فيه، وحثه على اقتحام فضاءات النص. ويغلب على مقدمة الكتب التمهيدية كل أشكال الإشادة بمزاياها وتفردها موضوعا ومنهجا، وهي دعوة صريحة إلى الإقبال على قراءة الكتاب وتبني أفكاره.

فالمتلقي هو الحاضر الغائب في كل عملية تأليف، والمقدمة هي الصورة المثالية التي يتطلع الكاتب إلى إنجازها؛ إذ عليها يترتب نجاح التلقي أو فشله وإليها توكل مهمة توجيه القراءة وتنظيمها، وبالتالي تهيئ القارئ لاستقبال مشروع قيد الانجاز سيكون مجاله ــ لا محالة ــ متن الكتاب، وهذا يعني أن المقدمة نوع من التعاقد بين المؤلف والقارئ.[2]

إن (محمود السعران) عمد على وضع مقدمة لا تخلو من التشويق والتحفيز، وذلك من أجل التأثير على القارئ العربي بخاصة القارئ الشادي وهذا يتجلى من خلال تحقيق الأهداف والمقاصد العامة للكتاب والتي تكمن في تقديم هذا العلم الحديث بطريقة مبسطة ويسيرة، وتكوين لبنة أولية سليمة للتفكير العربي.

1- محمود السعران، المرجع السابق، ص 415 ــ 416.

2- منيرة قليل، المرجع السابق، ص 344.

رابعا: المصطلح اللساني في الكتابات اللسانية التمهيدية.

1- مفهوم المصطلح:

تتعدد صور وضع المصطلح ــ العلمي منه والأدبي ــ بين الابتكار والنقل والإحياء، إذ يلجأ الواضع إلى نقل لفظ حامل لمفهوم أولي ليعبر به عن مفهوم جديد وهو المفهوم الشائع للمصطلح عموما، حيث عرفه الأغلب والأعم من التراثيين و المحدثين على هذا النحو، و استدلالا على هذا نستحضر البعض منها: بقول (الشريف الجرجاني) في كتابه "التعريفات" "إخراج اللفظ من معنى لآخر للمناسبة بينهما".[1] وكل التعريفات الواردة في هذا المؤلف تصب في الدلالة ذاتها وهي؛ لفظ معين من قوم معين، أو اتفاق طائفة على وضع اللفظ إزاء المعنى، أما الصورة الثانية لوضع المصطلح؛ فقد يولد لأول مرة مصطلحا وليس بالضرورة أن يكون موجودا ثم حول دلاليا، وهنا نستحضر الفرابي الذي كان أكثر وعيا وإدراكا لكنه المصطلح وطبيعته، فحينما تتوفر المفاهيم العلمية يكون العالم مطالبا بحدها وتقييدها بمصطلحات؛ فيعمل عند ذلك أحد شيئين: إما أن يخترع ويركب من الحروف ألفاظا لم ينطق بها أصلا قبل ذلك، وإما أن ينقل ألفاظا من ألفاظهم التي كانوا يستعملونها قبل ذلك للدلالة على معان أخرى.[2]

أما عن الصورة الأخيرة للوضع هي إحياء الألفاظ البائدة استعمالا وتوظيفهما أمام مفاهيم جديدة، ونلمح هذا النوع كثيرا في الثقافات الغربية خصوصا ما تعلق بالمصطلحات الطبية؛ إذ كثيرا ما يعمد واضعو المصطلح إلى إحياء المصطلحات الأسطورية من قبيل الألفاظ المتعلقة بأسماء الآلهة اليونانية والرومانية.[3]

2- أهمية المصطلح:

لا تخلو البحوث المصطلحية من عبارة (مفاتيح العلوم مصطلحاتها)، إلا أن الأمر يتجاوز هذه العبارة، إلى كون المصطلحات هي العلوم ذاتها في صورة مضغوطة؛ إذ

1- محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1،ص44 ــ 45.

2- عبد الغني بن صولة، أزمة المصطلح والمفهوم في الكتابة اللسانية التمهيدية في الوطن العربي، مجلة الآداب واللغات الإنسانية، المجلد 4، العدد:7، جانفي 2021، ص20.

3- المرجع نفسه، ص20.

مجموع المصطلحات يساوي مجموع المفاهيم ومجموع المفاهيم يوازي مجموع العلوم، ومجموع العلوم يعطينا المعرفة. وأهمية المصطلح تكمن في مجموع الوظائف التي يؤديها؛ من وظيفة تأسيسية إلى وظيفة تقييدية، والتنظيمية؛ فأما التأسيسية ذلك أن العلم لا يفرض لذاته إلى حين توحد أسماء دالة عليه، فغياب المصطلحات غياب لمضامين ذلك العلم، فالعالم يقضي وقته الأغلب في البحث عن مصطلحات معبرة عن مفاهيم علمه، ويسعى إلى ضبطها وتميز التداخل فيما تشابه منها، ولنا في تاريخ اللسانيات أفضل نموذج فـــ (سوسير) حينما أراد إرساء علمه الجديد عمد في البدء على وضع مصطلحات والتمييز بينها ليحدد موضوع العلم بدقة للغة، لسان، كلام.

أما الوظيفة التقييدية فلا شك أن في المصطلح تقييد للمعرفة؛ إذ بدونه تتعرض مكوناته للتلف، لذلك كان تمثل أهل العلوم لهذه الوظيفة منذ القدم واضحا فيما صنفوه في باب أحكام العلم والعالم والمتعلم، حيث نبهوا على ضرورة الاهتمام بالبعد المصطلحي لما له من مزية في ضبط شؤون العلم وصياغته.

وفي الأخير تبنى الوظيفة التنظيمية في إطار علاقة المصطلح بالمعرفة سد إحدى أبرز الثغرات التي تعاني منها العلوم قديما وحديثا، ويتعلق الأمر هنا بأزمة تبليغ المعرفة.[1]

وعليه فظهور أي علم يؤدي إلى وضع مصطلحات تكون متوازية مع هذا العلم وتطور العلوم والمفاهيم يتوافق مع تطور المصطلحات، إذ تعتبر ركائز ومفاتيح العلم فيه يتميز عما سواه من العلوم. فهي خلاصات مصغرة تعبر عن مفاهيمه، ثم إن الكلمة الاصطلاحية الواحدة يمكنها أن تنوب عن العديد من الكلمات التي من شأنها التعبير الاتفاق في وضعه مجموعة من الباحثين والدارسين. فهل تحقق هذا الأمر في علم اللسانيات؟

3- إشكالية المصطلح في الكتابات اللسانيات التمهيدية:

إن المطلع على الكتابات اللسانية العربية الحديثة يجدها تتميز بتعدد المصطلح اللساني عامة وتسمية هذا العلم بخاصة، هذا الأمر يخلق لدى القارئ إحساسا الخلط والارتباك مما

1- عبد الغني بن صولة، المرجع السابق، ص20 ــ 21.

يثير تساؤلا، أي مصطلح هو الأجدر للاستعمال. ومن المعلوم أن اللسانيات الحديثة، علم جديد ظهر في ساحة الدراسات اللغوية العربية، وبالتالي مفاهيمه اصطلاحية أيضا. وهذا ما أدى إلى ظهور ثلاثة مصطلحات تتنافس فيما بينها للحصول على أحقية تسمية هذا العلم وهي: (علم اللغة، الألسنية، اللسانيات)، وهذا التعدد في التسمية راجع إلى تعدد الترجمات، بالإضافة إلى تعدد الباحثين المنشغلين بالدرس اللغوي، وعدم التواصل بينهم في مختلف الأقطار العربية." ففي مصر والعراق يطلقون عليه "علم اللغة" وفي سوريا وفلسطين يطلقون عليه "الألسنية" و" علم اللسانة" في لبنان، ويطلقون عليه " علم اللسان" في المغرب، أما في الجزائر فكان شائعا "اللسانيات".

إذ نجد (عبد الواحد وافي) قد استخدم مصطلح (علم اللغة) في كتابه "علم اللغة" سنة 1946، كما استخدم مصطلح (فقه اللغة) في كتابه "فقه اللغة"، وقد أقر بمبدأ التسوية بين المصطلحين، وقد تمسك (محمود السعران) ب (علم اللغة)، في كتابه "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي". وكذا الحال بالنسبة ل(كمال بشر)، وهما يرفضان مصطلح (فقه اللغة) لأنه أطلق في القديم والحديث على مباحث ليست من علم اللغة الحديث في شيء".[1]

ونذكر على سبيل المثال بعض المؤلفات العربية التي تحمل مصطلح "علم اللغة" وهي كالآتي:

- علم اللغة العربية: محمود فهمي حجازي.
- علم اللغة العام: توفيق محمد شاهين.
- علم اللغة وصياغة المعجم: علي محمد القاسمي.
- في علم اللغة التقابلي: أحمد سليمان ياقوت.
- مدخل إلى علم اللغة : رمضان عبد التواب.
- في علم اللغة العام: عبد الصبور شاهين.

كما استخدم مصطلح " الألسنية" من طرف (أوغستين مرمجي الدومينكي) بفلسطين عام 1937 في كتاب: "المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية"، ويرى (محمد

1- بودرهم مريم، إشكالية المصطلح اللساني في الكتابات العربية الحديثة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، منشورة، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، 2012 ــ 2013 ، ص48.

رشاد الحمزاوي) أن مصطلح الألسنية في بداية الأمر أستعمل مقابلا لمصطلح (DIALECTOLOGIE)، فلم يظهر معنى الألسنية أو اللسانيات أو اللسانيات إلا في حوالي السبعينات من القرن العشرين، ليدل على العلم الجديد فهما ومضمونا نظريا وتطبيقيا، وقد ظهر ذلك عند (أنيس فريحة) و(ريمون طحان) سنة 1976 بعنوان "الألسنية" بلبنان، وكذا عند (ميشال زكريا) الألسنية علم اللغة الحديث سنة 1980.[1] ومن الأمثلة في المؤلفات اللسانية الحاملة لهذا المصطلح نذكر:

- دروس في الألسنية العامة: أحمد عمر النائلي.
- الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية: وليد محمد السراقبي.
- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة: ميشال زكريا.
- الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية: ميشال زكريا.

وبعد ذلك ظهر مصطلح "اللسانيات" مماثلا لصيغة "اللغويات" وقد ظهر في المغرب هذا المصطلح، لكن سرعان ما اختفى ليحل محله مصطلح "اللسانيات" وكان ذلك في الجزائر سنة 1966.[2]

إلى جانب بعض المؤلفات نذكر على سبيلها ولا حصر لها ما يلي:

- علم اللسانيات الحديثة : عبد القادر عبد الجليل.
- مبادئ في اللسانيات: خولة طالب الإبراهيمي.
- محاضرات في اللسانيات: فوزي الشايب.
- اللسانيات وأسسها المعرفة: عبد السلام المسدي.
- مدخل إلى اللسانيات: محمد يونس علي.
- اللسانيات والخطاب: نعمان بوقرة.
- اللسانيات النشأة والتطور: أحمد مومن.

1- بودرهم مريم، المرجع السابق، ص 48 ــ 49.

2- المرجع نفسه، ص49.

وهكذا لقي المصطلح اللساني انتشارا واسعا في الجامعات العربية والمؤسسات العلمية وأصبحت موضوعاته تنتشر في العديد من الوسائل والمجلات اللسانية، إلا أن البعض من الدارسين اعترفوا بالتأخر عن مواكبة الغرب في هذا المجال خصوصا فيما يتعلق في وضع المصطلح وضبطه، باعتباره أداة لتعريف ما تحته.

فالمصطلح اللساني عموما في الكتابة اللسانية التمهيدية يعاني من اضطراب وفوضى وهذا ما يتجلى في عناوين هذه المؤلفات، حيث لم يتفق اللغويون على تسمية واحدة لهذا العلم الدخيل على الواقع اللغوي العربي، مما سبب مشكلات في هذه الكتابات التمهيدية.

4- واقع المصطلح في الكتابة اللسانية التمهيدية:

إن إشكالية المصطلح اللساني ناتجة عن جملة من الأزمات حصرها الباحث السوري (مازن الوعر) في كتابه "قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث" إلى ما يلي:

أزمة المنهج، أزمة التراث والحداثة، أزمة النظرية اللغوية العربية المعاصرة، وأزمة المصطلح العلمي اللساني. ولعل هذه الأخيرة من أهم الأزمات وأخطرها، "إذ يذهب المؤلف إلى أنه امتداد لمشكلات العرب الثقافية الراهنة، تلك المشكلات المتعلقة بالهوية القومية والتجربة الحضارية المعاصرة التي تخوضها الأمة العربية. ويضاف لهذه الأبعاد، بعد آخر للمشكلة هو؛ البعد النفسي الفردي الشخصي للإنسان العربي؛ ذلك البعد الذي يقوده إلى اللامنهجية و اللاعلمية."[1] وقد تولدت هذه الأزمة من مجموعة من النقاط أشار إليها أحمد مختار عمر في بحثه عنوان " المصطلح الألسني وضبط المنهجية" إلى:

- استخدام المصطلح الواحد في أكثر من مفهوم.
- إطلاق أكثر من مصطلح على المفهوم الواحد؛ ومثال ذلك وجود مصطلحات مخالفة لما اتفق عليه في المصطلح التراثي، كتقسيم الاسم إلى منصرف وغير منصرف، وقد وضع لهذا النوع مصطلح Triptote ، وترجمة اللغويون ب (ثالوث إعرابي) وترجمة عبد الصبور شاهين ب (ذو الأحوال الإعرابية الثلاثة) و(المتصرف)، وهذا الأخير له في التراث العربي دلالة أخرى، وترجمة المسدي

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج،دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2013،ص 97.

مصطلح Diptote ب(ثنائي الصرف) وهو عند (عبد الصبور شاهين) ب (ذو حالتين إعرابيتين)(غير متصرف).[1]

- تعدد المؤسسات التي تضطلع بوضع المصطلحات العربية كالمجامع اللغوية والعلمية والجامعات ولجان الترجمة والتعريب وافتقار عنصر التنسيق بينهما.
- واختلاف في منهجيات وضع المصطلحات؛ أي وسائل توليد المصطلحات الإضافة إلى غياب الالتزام الصارم والدقيق من قبل المؤلفين و المترجمين.[2]
- عدم التقيد في معرفة دلالة المصطلح بين الدرس اللساني القديم، والدرس اللساني الحديث، فمثلا مصطلح point of Artceulation يقابله: مكان النطق، نقطة النطق، مخرج النطق، فالمقابل الثاني ملتزم فيه المقابل التراثي، أما المقابلان الأول والثاني فملتزم فيهما الترجمة.
- الافتقار إلى الدقة في وضع المصطلح لعدم فهم ما يعبر عنه.
- استخدام مصطلحات قديمة بمعنى جديد مما يؤدي إلى اللبس بين المعنى القديم والجديد.
- قصور المصطلح الذي يوضع موضع التطبيق والاستعمال على تأدية مفهومه، مما يؤدي إلى البحث عن مصطلح آخر يوم مقامه، وهذا يؤدي بالضرورة إلى تعدد المقابلات لمفهوم واحد[3]، كمصطلح "Sémiologie" الذي ترجم ب: السيميولوجيا، السيميائية، علم السيمياء، علم العلامات ، العلاماتية، علم الأدلة والأعراضية...

مصطلح "Sémiotique" الذي ترجم ب:السيميوطيقا، السيميوتيكا، السيميائيات، العلامية، الدلائلية.

1- وليد محمد السراقبي، فوضى المصطلح اللساني، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد 89، الجزء 2، دمشق،2008، ص 390.

2- إيمان بوشوشة، صالح غريبي، مشكلات تعدد المصطلحات اللسانية وتباينها، مجلة دراسات، جوان 2017، ص 122.

3- بودرهم مريم، المرجع السابق، ص 66.

وأيضا مصطلح "Phonétique" الذي ترجم ب: علم الأصوات، علم الصوت، الأصواتية، الصوتيات، الفونتيك... وغيرها.[1]

وتزداد هذه المشكلة تأزما" بترجمة المصطلح الأجنبي الواحد بلفظ معين مرة ثم يترجم المصطلح نفسه بمرة أخرى في الكتاب نفسه بلفظ آخر حيث نجد (إبراهيم أنيس) ترجم المصطلحين Consonant و Vowel في كتابه "الأصوات اللغوية" ب "الساكن" و "الصوت اللين" وترجمهما في كتابه "من أسرار اللغة" ب "حرف" و " حركة".

إذ نجد الدكتور (علي عبد الواحد وافي) في كتابه "علم اللغة" ترجم Consones بـــ: "الحروف الساكنة" أو "الساكنة" أو "الأصوات الساكنة" ولو أنه لم يلتزم بهذه الترجمة في ثنايا الكتاب، ورجم هذا المصطلح في مواضع أخرى ب: "الحروف غير المتحركة" و بـــ: "الأصوات" وترجم Voyelles "حروف المدّ" و "أصوات مد" و "أصوات لينة" و"حروف اللين" و "الأصوات المدية".[2]

خامسا: قراءة في المصطلح اللساني عند محمود السعران.

تحدث (محمود السعران) في كتابه "في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" عن كيفية نقله للمصطلح الأجنبي من بيئته الثقافية الغربية إلى حقل الثقافة العربية مقرا في ذلك بصعوبة هذه المهمة، إذ يقول: «ومن أول ما يجابه الباحث العربي في هذا السبيل من صعوبات وضع مصطلح هذا العلم بالعربية نظرا لتصوراته التي لم تقم في أذهان الغويين العرب، في مقابل رسوخ مصطلحات لغوية قديمة لا تعبر بدقة عن دلالة المصطلح اللغوي الحديث، الذي يراد بها أن تدل عليه».[3]

وقد انعكست هذه الصعوبة في نقل المصطلح اللساني خصوصا في مؤلفات كتابات الباحثين، سواءا الذين سبقوا (محمود السعران) أم الذين جاؤوا من بعده، خصوصا وأن هذا العلم جديدا في الثقافة العربية.

1- مسعود شريط، ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية، مجلة إشكالات، العدد 12، ماي 2017، ص 108.

2- محمود السعران، المرجع السابق، ص 29 ــ 31.

3- المرجع نفسه، ص29.

وأول خطوة منهجية اهتدى بها (محمود السعران) في ذلك وحتى يحقق هدفه من تقديم كتابه للقارئ العربي هي إثبات المصطلح الإنجليزي بحرفه، وانتقاء اللفظ العربي القديم ترجمة لبعض المصطلحات الإنجليزية وفي حالة انعدام المقابل العربي الملائم يستعمل المصطلح الأوروبي، وهذا يعرف بالتعريب أو تعريب المصطلح.

ومن بين المصطلحات المتداولة التي ترجمت مصطلح العلم (Linguistics) (الألسنية، اللسانيات، علم اللغة)، فضل (محمود السعران) الاعتماد على مصطلح (علم اللغة) في حين ترك المصطلحين الشائعين، وهذا ظنا بأنه هو الأجدر في الاستعمال، على غرار بعض المؤلفين فقد اختاروا عكس ذلك تماما. وهو الذين رفضوا استعمال مصطلح (علم اللغة) ترجمة لهذا العلم، وعلى رأسهم أحمد مختار عمر. ونلاحظ ذلك من خلال الجدول الآتي:

المصطلح	المؤلف	المصطلح	المؤلف
في الألسنة العامة	صالح قرمادي	مدخل للسانيات	محمدمحمد يونس
علم اللسان	أحمد مختار عمر	الألسنية	محمد منذور
مبادئ في اللسانيات	خولة طالبي الإبراهيمي	مقدمة في علوم اللغة	البدراوي زهران
مدخل للسانيات سوسير	مبارك حنون	اللسانيات مقدمة إلى اللسانيات	عبد الكريم محمد جبل
مبادىء اللسانيات	أحمد محمد قدور	محاضرات في اللسانيات	فوزي الشايب

وكل من هؤلاء أعطى تعريفا لمصطلح (Linguistics) بطريقة مختلفة عن الآخر وهذا ما يعكس من حجم الفهم والتبسيط. مما يخلق نوعا من الارتباك والغموض في ذهن المتلقي، وإلى جانب هذا التعدد على مستوى هذا العلم، نجد أيضا استخدام مقابلات مع بعض المصطلحات المصاحبة له عند محمود السعران وبعض المؤلفات ت الأخرى. والجدول الموالي يوضح ذلك:

المصطلح	محمود السعران	ما يقابله	المصدر
Phonome	فونيم	• صوتيم • صوت • فونيم • صوته • مستوصت	•قاموس اللسانيات(عبد السلام المسدي) •دروس في علم الأصوات(صالح القرمادي) •دراسة الصوت اللغوي(أحمد مختار عمر) •توطئة في علم اللغة(تهامي الراجي) •مجلة الفكر العربي
Syntax	النظم	• علم التراكيب • علم تنظيم اللغة • بناء الجملة • التركيب	•مدخل غلى اللسانيات(محمد يونس) •علم اللغة(علي عبد الواحدوافي) •مدخل إلى علم اللغة(محمود فهمي حجازي) •مبادئ اللسانيات(أحمد محمد قدور)
Phonétique	علم الأصوات اللغوية	• علم الصوت • علم الأصوات • علم الأصوات أو الصوتيات • الفونتيك • علم الأصوات العام	•علم اللغة(عبد الواحدوافي) •مدخل إلى اللسانيات(محمد يونس) •مبادئ في اللسانيات(خولة طالب الإبراهيمي) •مبادئ اللسانيات(أحمد محمد قدور) •في علم اللغة العام(عبد الصبور شاهين)
Phonology	علم الأصوات اللغوية الوظيفي	• علم الأصوات •علم وظائف الأصوات • التشكيل الصوتي	•علم الأصوات(محمد سعيد الغامدي) •علم الأصوات اللغويةالفونولوجيا (عصام نور الدين) •مناهد البحث(تمام حسان)
Sémiology	علم العلامات	•السيميولوجيا •أنظمة الإشارة اللغوية وغير اللغوية	•مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي(رمضان عبد التواب) •مدخل إلى اللسانيات (محمد محمد يونس)

إضافة إلى ذلك، اتخذ (محمود السعران) في كتابه طريقة تعري المصطلح وهذا عندما تعذر عليه إيجاد المقابل له بالعربية. وذلك من أجل أن لا يفسد محمولاته الدلالية نحو:

- Sémiology (علم العلامات، السيميولوجيا): ترجمة + تعريب.
- Phonology (الفونولوجيا، علم الأصوات الوظيفي): ترجمة + تعريب.
- PhysicalPhonitics
- PhysiologicalPhonitics التحليل الفيزيائي والفيسيولوجي} ترجمة جزء مع تعريب الجزء الآخر.
- Automatic: تعريب.
- Morpheme : تعريب.
- Chroneme: الكرونيم، كمية الصوت، ترجمة + تعريب.
- Toneme تونيم: تعريب.
- Le langage: اللغة: ترجمة بالفرنسية.
- La parole الكلام: ترجمة بالفرنسية.
- La langue اللغة المعينة: ترجمة بالفرنسية.
- Grammar: النحو (ترجمة).
- Grammatical Phorm الشكل النحوي: ترجمة.
- Grammatical Categorie: الفصيلة النحوية.
- Communication توصيل: (ترجمة).

من خلال الجدول السابق وتحليلنا لواقع مصطلح العلم (اللسانيات) نصل إلى أن (محمود السعران) قد نقل المصطلح الأجنبي بطريقة مركبة غير مبسطة إذ استعمل مصطلحات غير متداولة هذا ما أدى إلى تشتيت ذهن القارئ المبتدئ أما عن الغاية التعليمية المنشودة التي طمح إلى تجسيدها على أرض الواقع لم تتحقق بصورة متكاملة، ولم يأخذ بها مؤلفو هذه الكتابات بالشكل الصحيح بل كان همهم الأكبر هو، إعداد رصيد مصطلحي وتبني أي مصطلح لساني، دون النظر إلى القارئ العربي، هذا القارئ الذي وجهت له هذه الكتابات اللسانية له.

خاتمة

لقد وقف هذا البحث على امتداد فصليه في علم اللسانيات، مبدءا بمنشئه الغربي فصولا إلى ثقافتنا العربية، وكيف تم تجسيده في الكتابات اللسانية التمهيدية، مركزين في الجانب التطبيقي على كتاب "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، وقبل إنهاء هذا البحث نلخص أهم النقاط التي توصلنا إليها وهي كالآتي:

• أن اللسانيات علم جديد برز عند الأوروبيين واتخذ أشكالا متعددة وسلك مسالك جديدة حظي باهتمام كبير من طرف اللغويين، تجلى ذلك في بحوثهم ودراساتهم المنجزة في حقل الدراسات اللسانية الحديثة، والتي تميزت بالتنوع المنهجي و التحليلي.

• دخول هذا الموروث الغربي إلى ثقافتنا العربية، لم يكن بالأمر السهل فقد كان يسير ببطيء، وتصادم بتراثنا اللغوي العربي، فالموقف التراثي حاول استحسانه والتوفيق فيه بين القديم والجديد، ولكن سرعان ما اتضح أن الانخراط في البحث اللساني الحديث لا بد أن يكون بسبل حديثه أيضا. فأخذت حركة تأليف الكتابة اللسانية التمهيدية منطلقا لها.

• أن الكتابة اللسانية التمهيدية نوع من أنواع الكتابة اللسانية العربية، قامت من أجل تقديم المادة اللسانية الغربية و ما أنتجته من نظريات في دراسة اللسان البشري إلى شرائح مختلفة من القراء؛ المبتدئين والمتخصصين في اللغة العربية. فانطلقت من منظور يتمثل في كون هذه الشرائح جاهلة بمبادئ اللسانيات بشكل عام، وعلى ذلك حددت منهجها في الكتابة القائم على: تبسيط المعرفة اللسانية وتحقيق الغاية التعليمية.

• أن أول ما يقع عليه النظر في الكتب اللسانية التمهيدية هو العنوان؛ فهو أول لقاء بين القارئ والنص، فالكتابات اللسانية التمهيدية اتسمت بعناوينها الشيقة والمثيرة للاهتمام، فهي محبوكة بطريقة مميزة تستقطب المتلقي. إلا أن ما يقره عنوان كتاب (محمود السعران) "في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" بعيدا نوعا ما عن ما يتضمنه متن الكتاب، فالكلمة المفتاحية (مقدمة) توحي بأنه كتاب صغير الحجم سيحقق لنا الغاية التعليمية وتبسيط المعارف اللسانية و تقريبها لنا. إلا أنه في الحقيقة كتاب ضخم الحجم يتنافى مع العنوان و لا يتوافق مع فحوى المقدمة. بالرغم من المعلومات القيمة التي قدمها إلا أنه قد يؤدي إلى شعور القارئ المبتدئ بالملل والخلط والنفور وعدم مواصلة القراءة. فكان من الجدير اختصار المعلومات الوارد في الكتاب لتكون فعلا تمهيدا للقراء ولتتوافق مع عنوان الكتاب.

• أن كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، كان حقا مقدمة عرف بهذا العلم وأعطى الكثير فيه. إذ فتح لنا باب الدخول إلى عالم اللسانيات ، إلا أنه قد غلق علينا من جهة أخرى سبب المصطلحات الغير شائعة و الغير متداولة التي قدمها والتي أدت إلى الغلط والغموض، فكان من المفروض تقديم مصطلحات مشهورة وواضحة تقدم لنا علم اللغة بشكل مبسط وصريح.

ملخص

ملخص

ملخص:

إن النظريات اللسانية الحديثة ومبادئها العامة في دراسة اللغة البشرية، شكلت نمط جديد في الكتابة اللسانية العربية، سمي باللسانيات التمهيدية هذا الاتجاه الجديد في التأليف عمل على التعريف بهذا العلم الوافد على الثقافة العربية والإحاطة بجميع جوانبه، واتخذ في تأسيس قواعده الغاية التعليمية، والتبسيط والوضوح أهدافا له لإثارة القارئ العربي وتزويده بالمعرفة سليمة منهجا وموضوعا، وفي بحثنا سلطنا الضوء على أحد أهم الكتابات اللسانية التمهيدية في العالم العربي كتاب "في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"(محمود السعران) وذلك للبحث في مدى تحقق الغاية التعليمية بدءا بقراءة العنوان والمقدمة وما تحقق فيهما من وظائف، ثم المصطلح اللساني والنظر في مدى توافقه مع مستوى القارئ العربي.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات التمهيدية، العنوان، المقدمة، الوظيفة، المصطلح.

Résumé :

Les théories linguistique modernes et leurs principes généraux dans l'étude du langage humain on formé un nouveau style dans l'écriture linguistique arabe appelé ″linguistique d'introduction″.

Cette nouvelle direction de la paternité a contribué à définir cette science, connaissances dans la culture arabe, et d'en prendre note de tous ses aspects et usages dans l'établissement de ses règles, le but pédagogique et la simplification comme but afin d'exciter le lecteur arabe et de lui fournir de solides connaissances linguistique à méthode et sujet

Dans cette recherche nous mettons en lumière l'un des écrits linguistique d'introduction les plus importants dans le monde arabe, le livre ″ linguistique une introduction au lecteur arabe″ par (Mahmoud Al Saran) et c'est rechercher dans quelle mesure le but pédagogique a été atteint en commençant par une lecture du titre et de l'introduction et des fonction qui y sont remplies puis terme linguistique et en examinant sa compatibilité avec le niveau du lecteur arabe.

Les Mots clés :

Introduction à la linguistique, titre, introduction, une fonction, terme.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1999
2. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 2005.
3. بن زروق نصر الدين، محاضرات في اللسانيات العامة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الابيار، الجزائر، ط1، 2011.
4. جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر، محمد زياد كبة، النشر والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997.
5. جميل حمداوي ، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطباعة والنشر الإلكتروني، المملكة المغربية، ط2، 2020،
6. حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009.
7. حلمي خليل، دراسات اللسانية التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2000.
8. خولة طالب ابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006.
9. رمضان عبد التواب، مدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1997.
10. السعيد شنوقة، مدخل الى المدارس اللسانية، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2008.
11. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ابحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2005.
12. صبري ابراهيم السيد، مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، مكتبة الادب، القاهرة، ط1، 2011.
13. مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للنشر والتوزيع، دمشق، 1980، ص 380.
14. محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1
15. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1962
16. محمود سليمان ياقوت، مناهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الكويت، ط1، 2011
17. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2013.
18. مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006.
19. وليد محمد السراقبي، الالسنية مفهومها مبانيها المعرفية ومدارسها، دار المخطوطات دار المكتبة العباسية، بيروت، لبنان، ط1، 2019

المـــجـــلات والدوريات:

1. إيمان بوشوشة، صالح غريبي، مشكلات تعدد المصطلحات اللسانية وتباينها، مجلة دراسات، جوان 2017.

2. الطيب عطاوي، شريف ن دحان، مدى نجاح الكتابة اللسانية التمهيدية في تقريب اللسانيات إلى القارئ العربي، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المجلد 4، العدد 14، أغسطس 2020.

3. عبد الغني بن صولة، أزمة المصطلح والمفهوم في الكتابة اللسانية التمهيدية في الوطن العربي، مجلة الآداب واللغات الإنسانية، المجلد 4، العدد:7، جانفي 2021.

4. مراد شرفي، قراءة بيليوغرافية في كتاب "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" للدكتور محمود السعران، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، المجلد 4، العدد: 7 جانفي 2021.

5. مسعود شريط، ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية، مجلة إشكالات، العدد 12، ماي 2017.

6. منيرة قليل، الكتابة اللسانية التمهيدية وأفق انتظار المتلقي، مجلة الآداب واللغات الإنسانية، المجلد4، العدد: 7 جانفي 2021.

7. وليد محمد السراقبي، فوضى المصطلح اللساني، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد 89، الجزء 2، دمشق، 2008.

الرسائل الجامعية:

1. بودرهم مريم، إشكالية المصطلح اللساني في الكتابات العربية الحديثة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، منشورة، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، 2012 ــ 2013 .

فهرس الموضوعات.

المقدمة..... ا-ب-ج.

الفصل الاول: نظرة في اللسانيات

المبحث الاول: اللسانيات عند العرب

المطلب الاول: مصطلح اللسانيات.....5

المفاهيم الاساسية التي تعتمد عليها اللسانيات.....9

المطلب الثالث: تطور اللسانيات.....12

مدرسة جنيف.....12

المدرسة الروسية.....14

مدرسة براغ.....17

مدرسة كوبنهاجن.....22

المدرسة الانجليزية.....25

المدرسة الامريكية.....28

المبحث الثاني: اللسانيات عند العرب

المطلب الاول: انفتاح الثقافة العربية على الدرس اللساني.....35

النهضة الفكرية.....35

الحركة الاستشراقية.....41

ارهاصات تشكل الخطاب اللساني الحديث.....45

المطلب الثاني: اللسانيات التمهيدية.....49

تعريف اللسانيات التمهييدية.....49

اهم المؤلفات اللسانية التمهيدية.....50

الفصل الثاني: قراءة في كتاب "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي "لـمحمود السعران

التعريف بالدكتور محمود السعران.....53

وصف الكتاب.....54

دراسة تحليلية لكتاب محمود السعران.....62
قراءة في عنوان الكتاب.....62
قراءة في مقدمة الكتاب.....67
المصطلح اللساني في الكتابات اللسانية التمهيدية.....72
مفهوم المصطلح.....72
أهمية المصطلح.....72
اشكالية المصطلح في الكتابات اللسانية التمهيدية.....73
واقع المصطلح في الكتابة اللسانية التمهيدية.....76
قراءة في المصطلح اللساني عند محمود السعران.....78
خاتمة.....83
الملخص.....86
قائمة المصادر والمراجع.....87